دور الجواري في عهد الدولة الأيوبية (٥٦٩ـ٦٢٦هـ / ١١٧٤ـ١٢٢٨م)

الأستاذ المساعد الدكتور شهلة برهان عبد الله
قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة صلاح الدين

المستخلص

لم يعد دور الجواري في المجتمع الإسلامي قاصر على التسرية والترفيه وسائر المهن والوظائف التى اعتدن تأديتها من تدبير منزل والقيام بأعبائه إلى الطرب والغناء ، بل أصبحن يؤدين دوراً اجتماعياً وسياسياً بالغ الأهمية ، أثر بشكل فاعل في مقدرات المجتمع في المناح الحياتية كافة . وقد أتى البحث فى تمهيد ومبحثين وخاتمة، اشتمل المبحث الأول على الوظائف والمهن التقليدية للجوراى فى العصر الأيوبى (٥٦٩ـ٦٢٦هـ / ١١٧٤ـ١٢٢٨م).

كلمات مفتاحية: الجواري، الأيوبيون ، الوظائف ، الحضارة ، السياسة.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٢/٢٥ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٤/٠٥/١٩

The Role of the Maidservants (Mamluks) During the Ayyubid Dynasty (569-626 AH / 1174-1228 CE)

Asst. Prof. Dr.Shahlla Borhan Abdullah
Department of History / College of Arts / Salahaddin University

Abstract

The roles of maidservants in Islamic society have evolved beyond mere entertainment and traditional household duties, encompassing professions that were once exclusive to them, such as managing households and performing various tasks, including singing and entertainment. Moreover, they undertook significant and perilous social and political roles that profoundly influenced society across all spheres of life. The study is structured with an introduction, two main sections, and a conclusion. The first section explores the traditional roles and occupations of maidservants during the Ayyubid era (569-626 AH / 1174-1228 AD).

Keywords:maidservants, Ayyubids, Roles, Civilization, Politics**.**

Received:25/02/2024 **Accepted: 19/05/2024**

المقدمة

يعد موضوع الجوارى فى العصر الأيوبى من الموضوعات التى ينبغى إلقاء الضوء عليها؛ نظرا لِمَ لعبته تلك الجوارى فى هذا العصر من أدوار حضارية وسياسية كان لها تأثير بالغ فى البنية الاجتماعية والسياسية للعصر الأيوبى ، فلم يقتصر دورها على التسرى والترفه وغيرها من الأدوار الثانوية التى عهدت لعبها فى مختلف العصور ، بل وجدناها فى هذا العصر؛ معلمة وأديبة ، محدثة وفقيهة ، كما كانت فى الحياة السياسية وصية على ولاية العهد وحافظة لمُلكٍ آتٍ ومنتظر ، ووصلت ذروة تلك الأدوار ـ غير التقليدية ـ فى هذا العصر ؛ حيث تولت السلطنة فى حادثة هي الأولى من نوعها فى التاريخ الإسلامى ، وصارت السلطانة شجر الدر(ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م) أول سلطانة فى التاريخ الإسلامى ، وهو دور لم يعرفه عصر إسلامى سوى العصر الأيوبى . واقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى تمهيد تحت عنوان (أدوار ووظائف الجوارى بين التقليد والتجديد)، ومبحثين : الأول : يحمل عنوان (وظائف ومهن عامة الجوارى فى العهد الأيوبى) ؛ التى تأرجحت بين أدوار تقليدية من غناء وطب وتوليد وتربية أطفال ، وأدوار أخرى غير تقليدية كالاشتغال بالفقه والحديث وسائر أعمال التجارة والصناعة . وأما المبحث الثانى ؛ فأتى بعنوان الأدوار الحضارية والسياسية للجوارى ، وفيه استعرض أدوارهن الحضارية المتمثلة فى بناء المدارس والخوانق والوقف على أعمال الخير ، وأما عن الدور السياسى ، فلم يكتف الجوارى فى العصر الأيوبى بالحفاظ على ولاية العهد فقط ، بل تطلعن وتقلدن سدة الحُكم ، وأصبح للبلاد حاكمة وسلطانة ، وهى واقع ة ودور سياسى لم يكن إلا فى العصر الأيوبى فحسب. واعتمدت الدراسة فى سبيل تحقيق مباحثها على عدد من المصادر والمراجع عن الجوارى وأدوارهن والطبيعة الحضارية والسياسية للعصر الأيوبى ، والملابسات التى أظهرت الجوارى على مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية ، واستندت الدراسة فى هذا على المنهج التحليلى لحل إشكاليات البحث والوصول إلى النتائج .

التمهيد (أدواروووظائف الجوارى بين التقليد والتجديد)

يُطلق العرب لفظ الجارية على الفتاة الحرة وغير الحرة ، ولكن مع الزمن والوقت أصبح اللفظ قاصرا على الأنثى التى سُبيت فى الحروب والمعارك ، أو التى ولدت من أمة وعبد ، ويرادفها فى المعنى (القينة) وهى الأمة المغنية أو غير المغنية والجمع (قيان) ، ومن مترادفاتها أيضا (السرية) وهى التى يتخذها الرجل للتسرى والترفه بعيدا عن أعين زوجته؛ لذا اشتق اسمها من كلمة (السر) وفقا لبعض الآراء ، أو أنها سميت بذلك لإدخالها السرور على صاحبها وغير ذلك من معان ، ومنها أنها تسمى (أم ولد) إذا أنجبت من سيدها ، وحينئذ لا تباع ولا تشترى(١) ، وقد حظين في مختلف العصور الإسلامية بمكانة سامية وتغير معها التعريف اصطلاحا ومعنى.

و كانت البداية الحقيقة للهذا التغيير وتأدية الجوارى الأدوار الحضارية والسياسية ـ جنبا مع أدوارهن التقليدية ـ هو العصر العباسى (١٣٢ـ٦٥٥هـ/ ٧٥٠ـ١٢٥٨م) الذى فيه انقلب دور الجوارى رأسا على عقب ، وغادرن للأبد أحادية الدور والمهام بكونها جسدا أو آلة للخدمة والرعاية فحسب ، أو صوتا يُطرب ويُشجى ، بل

أصبحن يناظرن العلماء ، ويطارحن الشعراء فى نظمهم ، ويكتبن فى الدواوين الرسمية للدولة ، ومن هؤلاء : مقلة خالصة جارية الخيزران (٢) ، وعتبة جارية ريطة ابنة أبى العباس ، ودقاق جارية العباسة ، وغيرهن كثيرات . وبلغن الجوارى شأنا عظيما مع كونهن أصبحن أمهات للخلفاء وأرباب السلطان فى البلاد ، واستن الخليفة العباسى المهدى (١٢٧-١٦٩هـ/ ٧٤٥-٧٨٥م) سنَّة ؛ صارت محل اتباع لمَنْ جاء بعده من الخلفاء والحكام ، حيث سمح للجوارى بمشاركته الحُكم والسلطان ، فقد شهد حكمه مشاركة الخيزران بنت عطاء القرار والسلطان (٣) ؛ فكانت صاحبة السلطان على القصر والندماء وغيرهم ، وفى يدها مقاليد الأمور ، تعزل مَنْ تشاء ، وتذل مَنْ تشاء ، وصارت لها مواقيت ومواعيد ؛ تنظر فيها مظالم الرعية وشكواهم ، فتجيب على هذا ، وترد مظلمة ذاك ، وهو ما يعبر إلى أى مدى بلغت من السطوة والحظوة وصُنع القرار (٤). وبلغت من السطوة والحظوة أن ابنها الخليفة الهادى (١٤٤-١٧٠هـ/٧٦١-٧٨٦م) الذى بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه المهدى ، رأى الوفود والمواكب تتوافد على أبواب أمه دون اعتبار لوجوده وخلافته ، فأراد أن يصدها ويخفف من سطوتها السياسية والاجتماعية ، فأغلظ عليها وحدد دورها ووقت ظهورها ، قائلا لها:(ما هذه المواكب التى تغدوا إلى بابك كل يوم ؟ أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك. أياك أياك أن تفتحى فاكِ فى حاجة لمسلم أو ذمى)!! (٥) ؛ فآلمها أن يذهب سلطانها ، وتُرد المواكب عن بابها ، فأرادت الانتقام ؛ فدبرت موته ، حيث دست له عددا من جواريها غطين وجهه وكتمن أنفاسه ؛ فقتلنه مخنوقا ، وكان هذا ردا على محاولة إطعامه السُمّ لأمه الخيزران ، حيث أرسل لها طعاما ، فقال أتباعها : تمهلى لا تطعمى ، فأطعموا كلبا ، فسقط لحمه ومات على الفور ، فكانت خطتها فى التخلص منه ، وأيا كانت الروايات ، فهى تظهر تباين دور الجوارى بالكلية ، ووصلوهن إلى التحكم التام فى زمام الأمور ، وتسيير كافة الشؤون الاجتماعية كبيرها وصغيرها، وإلا يشتركن بعضهن فى جريمة قتل حتى لو كانت ضد الأبناء وذوى القربى !! (٦) . وأتى عهد الدولة الأيوبية (٥٦٩-٦٤٧هـ/ ١١٧٤-١٢٥٠م) تلك الدولة المنسوبة إلى صلاح الدين الأيوبى، الذى هاجرت أسرته الكردية إلى العراق و الشام ؛ لتدخل فى خدمة الأتراك السلاجقة ، وقد قامت الدولة على أنقاض الدولة الفاطمية .اشتهرت الدولة بحروبها المستمرة ضد الصليبيين ، وبلغ الأيوبيون فى عهد صلاح الدين ذروة قوتها ، ولكن بدأ الضعف يدب فى أوصالها مع تقسيم صلاح الدين دزلته الواسعة قبل وفاته على أولاده وإخوته ؛ مما أحدث انقساما حادا داخل الأسرة الأيوبية بعد وفاته . وقد حمل هذا التقسيم بذور الشقاق والضعف الذى آل إلى زوال الدولة برمتها ؛ لتقوم دولة المماليك على أنقاضهم(٧) وأضحى تمكن الجوارى فى هذا العصر الأيوبى، أمراً طبيعياً وعرفاً سائداً ، حيث أدت الجوارى أدوارا حضارية وسياسية ؛ فأصبح لهن دورا كبيرا وفاعلا في البناء الحضاري للدولة الأيوبية، حيث شاركن في بناء المؤسسات الدينية والثقافية كالمدارس، والخوانق(٨)، والأربطة(٩)، والمؤسسات الاجتماعية كالحمامات ودور رعاية الأيتام وعابري السبيل، وكذلك المؤسسات الاقتصادية كالفنادق والخانات، وهو ما ألقى بظلاله على كافة قطاعات الدولة الأيوبية ، فصار لهن كلمة نافذة و حظوة فاعلة (١٠). وقد أدت الجوارى أدورا كبيرة وعديدة فى العهد الأيوبى ، إلى الحد الذى يمكن أن نطلق على هذا العهد " عهد سطوة الجارية ومُلكها " ، فقد امتلأت القصور والبيوت الكبيرة فى جميع فئات المجتمع بعدد كبير من الجوارى والإماء ، وقد بولغ أحيانا بكثرة الجوارى ، وامتلاء المجتمع بهن ، وصار المجتمع الأيوبى مطبوعا كلية بطابع الجوارى وقيادتهن ؛ خاصة بعدما صار الكثيرات منهن أم ولد ، والتى صانها

الإسلام وكفل لها ميزات ، كانت دافعا لها ؛ للعب كافة صنوف الأدوار الحضارية من اجتماعية وسياسية وغيرها (١١). فقداحتلت الجوارى فى العهد الأيوبى مكانة اجتماعية مرموقة ، حتى أنهن كُن زوجات لكثير من كبار رجال الدولة ورموزها، فقد كانت "جوزة" (ت ٦١٠هـ /١٢١٣م) زوجة الطبيب "موفق الدين أبو نصر أسعد بن جرجس المطران"،(ت٥٨٧هـ/١١٦١م) شيخ الأطباء بالشام،هى جارية "خوند خاتون" بنت معين الدين وزوجة السلطان صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢.٥٨٩هـ /١١٣٨.١١٩٣م) الذى جهزها بجهاز عظيم فخيم(١٢). وكانت "جوزة " من أثرياء المجتمع ، فقد ورثت عن زوجها الطبيب المال الكثير ، فعقب وفاته، قامت ببناء تربة فى منطقة قاسيون بدمشق، ودفنت بها زوجها ، وعُرفت التربة بـ" دار جوزة" ، كما اشترت دارًا، وبنت إلى جانبها مسجدًا، وأوقف الأوقاف للأيتام والفقراء،فقد اشتهر عنها الزهد والصلاح، وحب الخير وفعله(١٣) . كما كان لهن باعا ساميا فى الحياة العلمية ، ووصلن فيها إلى مرحلة متقدمة ، حيث بلغن أن يصبحن راويات حديث ، كحال جارية المحدث " عبد الوهاب بن رواح " ؛ الراوية والمحدثة " ظبية " التى سمعت من عبد المجيد بن محمد المراكشى ، وروى عنها غير واحد (١٤). وكان العهد الأيوبى عهد المحدثات اللواتى تبوئن مكانة علمية مرموقة فى علوم الحديث أمثال : (ذى الشهدة الكاتبة) التى تخصصت فى دراسة الحديث وعلومه حتى أصبحت من كبار رواته وحُفاظه ، وكذلك " ست الكتبة نعمة بنت على " التى تخصص فى شرح كتاب الشمائل للترمذى (١٥) . وتلقبن الجوارى فى العهد الأيوبى بالشيخة كالحال مع الشيخة (لؤلؤة بنت عبدالله) (ت ٦١٩هـ/١٢٢٢م) عتيقة) الحافظ الصائب أبى الحسن هبة الله بن الحسن الدمشقى بن عساكر" . وقد كان هذا نتاج عهد أيوبى متفتح حيث سمح للجوارى بتلقى العلم فى المدارس العامة ، فبرز منهن ثلة من العالمات الفضليات كالظبية واللؤلؤة ، فقد كانت الجاريات يتعلمن على يد معلمات شهيرات ، فقد اشتهر فى بلاد الشام المعلمة" آسية بنت عبد الواحد " المختصة فى تحفيظ القرآن للنساء والجوارى (١٦) . وكانت الجوارى تدرس فى المراكز العلمية المتعددة ، فقد كانت من إحدى محاسنها وفخرها أنها تجيد الأدب والفنون ، لذا لم يكن مستغربا أن يكون لهن مجالس علمية يؤتى إليها من بعيد ، فقد كان من الحضور قامات فكرية أثرت الحياة الثقافية الإسلامية كمثل : ابن عساكر(ت ٥٧١هـ/١١٧٦م) ، والمنذرى(٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، وابن حجر العسقلانى(٨٥٢هـ/١٤٤٩م) ، وللحق فإن العهد الأيوبى كان يولى تعليم المرأة ـ عامة ـ اهتماما خاصا ، وهو ما جعل لها دور واضح ومؤثر فى الحياة العلمية بالمجتمع الأيوبي ، الذى كانت فيه المعلم والمرشد للبنين والبنات الذى سرعان ما أضحوا قادة عظام كلٌ فى تخصصه ، ويميط هذا الأمر اللثام عن أسباب المؤلفات الكثيرة التى تناولت النساء وجواريهن ؛ موضوعا لها ، كنحو : أخبار النساء لابن الجوزى ، ونزهة الجلساء فى أشعار النساء للسيوطى ، والروضة الغناء فى تواريخ النساء لـ يلسين خيرالله العمرى ، ولم يكن دورالجوارى قاصرا على تلقى العلم فحسب ، بل عندما ارتقت إلى صفوة المجتمع كانت بناءة لدور العلم ومراكزه من مساجد ومدارس وزوايا إلى ربط ومراكز تعليمية أخرى (١٧). وساهمن صفوة الجوارى فى البناء الحضارى للدولة الأيوبية عن طريق المساهمة فى حركة البناء والعمران الضخمة التى شهدتها مصر والشام فى العصر الأيوبى ، كما ساهمن بدور سياسى عن طريق تولية هذا وتنحية ذاك وغيرها من أدوار ستتبين فى حينها، ولكن علينا الانتباه إلى أن من الجوارى فى العصر الأيوبى مَنْ أدت الأدوار والوظائف التقليدية للجوارى ، وأما مَنْ أدت الأدوار الحضارية والسياسية ، فهُن صفوة الجوارى وخاصتهم ؛ لذا فإن الدراسة تأتي على مبحثين :

مبحثا يحدثنا عن وظائف ومهن عامة الجوارى فى العصر الأيوبى ، وآخر يحدثنا عن الأدوار الحضارية والسياسية لخاصة الجوارى وصفوتهم ، وذلك على النحو الآتى :

ـ المبحث الأول: وظائف ومهن عامة الجوارى فى العهد الأيوبى(٥٦٩-٦٢٦هـ/ ١١٧٤-١٢٢٨م) :

تباينت أدوار الجوارى فى عهد الدولة الأيوبية ما بين الأدوار التقليدية وغيرها من الأدوار المستجدة ، والتى كان لكلاهما أثرٌ بينٌ فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمختلف مناطق نفوذ الدولة الأيوبية مصرًا وحجازًا ، يمنًا وشامًا ، ويمكننا تقسيم أدوار ووظائف الجوارى فى العصر الأيوبى إلى قسمين : قسم للأدوارالتقليدية ، وقسم للأدوار غيرالتقليدية ، وذلك على النحو الآتى :

أولا: الأدوار التقليدية : أدت الجوارى فى العصر الأيوبى تلك الأدوار والوظائف التى شغلنها عبر عصور التاريخ الإسلامى ، كالغناء والفنون الاستعراضية والعزف الموسيقى ، بالإضافة إلى التدبير المنزلى والقبالة والتزيين والتجميل والوصافة لأمهات وزوجات الملوك والأمراء ، وغيرها من أدواروووظائف ، ولكن يبرز من بين تلك الوظائف التقليدية ، تلك الوظائف والأدوار :

أ. الغناءيبدو الحديث عن الغناء فى العصر الأيوبى حديثا مستغربا ، حيث أنه العصر الذى خيّم عليه كابوس الحروب الصليبية ، وكان للحرب دائما كلمتها العليا فى هذا العصر ، وإن هدأت شبت الصراعات على السلطة بين الأيوبيين أنفسهم ، ولكن رغم ذلك لم ينس الأيوبيون نصيبهم من الطرب والغناء ، فالسلطان صلاح الدين الأيوبى ، فعلى الرغم من انشغاله الشديد بالجهاد ضد الصليبيين بالإضافة تصديه للفتن الداخلية وتوابعها ، فقد كان يحرص على حضور مجالس السماع الصوفية ، كما كان يسمع الغناء ويطرب له (18) ؛ فلم تمنع الحروب من انتشار مجالس الغناء الخاصة والعامة فى كل من مصر والشام وبلاد الحجاز واليمن، وقد كان المؤهل لأداء هذا الدور ، هو الجوارى دون غيرهم ، وكن سببا رئيسا فى رواج الغناء والموسيقى ، حيث أن العهد الأيوبى عُرف بكثرة الجوارى من سبى الحروب اللواتى كن يجدن فنون الغناء والطرب ، كما كان سلاطين بنى أيوب ذوى اهتمام بسماع الغناء وحضور مجالسه ، وامتلاكهن الجوارى اللواتى يجدن فنون الغناء والعزف على آلات الموسيقى والطرب (19) . وأقبل الناس فى العهد الأيوبى حكاما ومحكومين فى مجالسهم الخاصة ومآدبهم على سماع الغناء والموسيقى كإحدى وسائل الترفيه والتسلية ، وتزجية أوقات الفراغ ، ولما وجدت الدولة رواج الغناء وكثرة أرباح الجوارى المغنيات من حفلاتهن ؛ فرضت عليهن ضريبة " ضمان القيان" (20).

واشتهر عددٌ من الجوارى المغنيات ، فنجد فى مصر : حسناء المصرية ذات الأصول اليمنية والنشأة الحجازية ، تعلمت الغناء فى بغداد ، واشتهرت بمصر ، كانت شاعرة ولها مقطوعات شعرية وقصائد تغنيها بحفلاتها ، وقال عنها عماد الدين الأصفهانى ٥١٩-٥٩٧هـ /١١٢٥-١٢٠١م) " مغنِّية عن الملاهى مغنية، وغانية بالحُسن غانية". كما كانت (سرور) جارية السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين ، التى كانت ملكا لسيدة بالقاهرة ، اعتنت بها ، فحفظتها القرآن الكريم وعلمتها الخط والنحو والصرف واللغة والأدب ، وروتها الأشعار ، وعلمتها صنعة الغناء حتى صارت علماً عليه ، وفاقت كافة أقرانها ، رآها السلطان العزيز أثناء نيابته عن أبيه فى مصر فأُعجب بها إعجابا شديداً ، ولكنه لم يستطع شراها خوفا من أبيه السلطان صلاح الدين الأيوب:

لكنه مالبث ان اشتراها عقيب وفاته . واشتهرت أيضا المغنية "فنون" جارية الملك العادل الأيوبى المهداة إليه من أحد ملوك الروم ، وكانت بارعة الغناء والعزف ، وكان ذات دلال وكلمة نافذة فى البلاط الأيوبى ، فقد أمر العادل بفك أسير من أمواله الخاصة كان قد وقع فى يد الفرنجة ؛ تلبية لرغبة فنون وإرضاءاً لها ، وهو ما يبرز إلى أى مدى كانت مغنيات الجوارى ذات تأثير على الملك والسلطان !! (٢١) . وعرفت بلاد الشام أيضا صنوف الغناء والرقص والتمثيليات الفكاهية ، فقد كان العامة يقبلون على ما تقدمه الجوارى من صنوف الغناء والترفيه ، وبلغ الترفيه مبلغه ، حيث اخترعت فى العصر الأيوبى آلات إيقاع تناسب ما تقدمه الجوارى من تمثليات وفقرات غنائية استعراضية ، ومن تلك الأدوات "الكرج" وهى تماثيل خيل مسرجة من الخيش معلقة بأطراف أقبية تلبسها الجوارى ، ويركبن بها الخيل ، فيحدثن أصواتا فى الكر والفر، وكانت الفقرات تعرض أمام الجماهير فى الولائم والأعياد وأوقات الفراغ ومجالس الترفيه والتسلية (٢٢) ، وكانت المغنيات الجوارى محل شغف واستحسان من ولاة وأمراء بلاد الشام ، فهذا هو والى حلب الملك الظاهر (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م) ، ينجب الصالح أحمد (ت ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) من جارية كانت تعمل فى مجال الغناء ؛ وربما يكون هذا أحد أهم الأسباب التى حرمته من المُلك (٢٣) وهو ما يبرهن على مكانة الغناء والوله به فى بلاد الشام من قبل بعض الأمراء والولاة. وكانت الجوارى المغنيات فى بلاد الحجاز مرتبطات بإحياء المناسبات والحفلات ، فمهنة الغناء والطرب قديمة فى المجتمع الحجازى منذ وقت مبكر ، حيث ساعدت تجارة الرقيق على وجود طبقة من الجوارى مدربات على الغناء والطرب ، شاركن فى إحياء حفلات الأعراس فى المجتمع الحجازى ، وتطورت المهنة بحيث أصبح لها تنظيم خاص بها ، فقد كان هناك شيخة للمغانى أو العوالم كالشيخة أقليم الزنجية وخليفتها فاطمة السلاوية ، بالإضافة إلى شيخة المغانى أصيلة المولدة (٢٤) . وكان لبلاد اليمن نصيبٌ من غناء الجوارى ، فمثلها كمثل بلاد الحجاز ، حيث إن الغناء له باع كبير فى الحياة الاجتماعية اليمنية ، فقد كان غناء الجوارى مصاحب لكافة المناحى الاجتماعية من زواج وولادة وختان ، تلك المظاهر التى حرص عليها الخاصة قبل العامة ، فمثلا فى احتفال الختان لولد الحاكم أو السلطان أو أحد رجالات الدولة ، يكون للجوارى المغنيات دور رئيس فى الاحتفال ، فهن قائدات الحفل ومنسقيه ، حيث يزفون المختون إلى القصر السلطانى فى موكب مهيب يسير فيه الوزاراء والعسكر والكُتاب وكبار رجال الدولة(٢٥) .

ب ـ التدبير المنزلى وطب الأطفال وطب النساء والتوليد : كان التدبير المنزلى مهنة رائجة لدى الجوارى فى مختلف العصور الإسلامية ، ومنها العصر الأيوبى ، فقد كان طريقهن إلى المكانة الاجتماعية الرفيعة ؛ خاصة إذا كان التدبير فى أحد البيوتات الحاكمة ، فقد كان يقيم فى بيت السلطان صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢-٥٨٩هـ /١١٣٧-١١٩٣م) ، لعل أشهرهن قاطبة جوزة (ت ٦٠٠هـ/١٢٠٣م) إحدى حظايا الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ، مدبرة منزل لزوجته الخاتون بنت معين الدين أنر (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) ، ولاقت معاملة حسنة من قبل الملك الناصر وزوجته ، حتى عُدت بمنزلة الابنة لهما ، وقاما بتجهيزها للزواج كأروع ما يكون ، حيث حملت معها قدرا كبيرا من الحلى والذخائر والأموال (٢٦). عُرف عن البلاط الأيوبى الشغف بامتلاك الجوارى ، فيذكر التاريخ أن بلاط الملك العادل أبى بكر سيف الدين التكريتى (٥٣٨-٦١٥هـ / ١١٤٤-١٢١٩م) كان مهتما باقتناء الجوارى ، ويعتمد عليهن فى كافة الأعمال سواء المنزلية أوغيرها (٢٧). فقد أدت الجوارى دورا هاما فى

التدبير المنزلى بمختلف أصقاع وحدود الدولة الأيوبية ، ففى مصر استطاعن بحذقهن أن ينقذن الكثير من أطفال مصر من الموت عقب المجاعة التى ألمت بالبلاد (٥٩٦هـ/١٢٠٠م) ، حيث كان بعضهن عالماً بالطب وعلومه ، واستطعن أن يقدمن للرضع الوجبات التى تقيهم الجوع وطرق حفظ صحتهم من الإكثار من تناول المياه إلى الأغذية التى يطول هضمها ولا تؤذى الرضيع ، وقد كُنّ يؤثرن على أنفسهن ، ويرضعن الأطفال حتى قبل تناولهن الطعام ، وقد خرجن من تلك المحنة وهن أمهات بالرضاع لكثير من أطفال مصر(٢٨). وكانت بلاد الشام محاكاة لما عليه الحال فى مصر ، فقد كانت الجوارى يقمن بكافة الأعمال المنزلية، خاصة فى قصور الملوك والأغنياء وعلية القوم ، وبلغن من الحظوة أن صرن كأحد أفراد القصر والعائلة ، ويستدل على ذلك أنهن كان محل اختيار رجال القصر للزواج ، والكثير منهن تزوجن عن طريق العمل المنزلى فى القصور ، ومن ذلك زواج الشيخ عيسى بن أحمد بن ألياس اليونينى من مخدومته ، على الرغم من كبر سنها (٢٩). كما عرفت بلاد الحجاز أدوارًا متباينة للجوارى والرقيق منها بالقطع التدبير المنزلى ، فقد عرفت مكة المكرمة والمدينة المنورة صنوفا من الجوارى والرقيق من الأحباش ،والهنود ، والأتراك ، وغيرهن ، خدمّن فى بيوت الأشراف والأمراء ، وبلغ بعضهن مكانة اجتماعية مرموقة بالمجتمع المكى على الرغم من كونهن ربات تدبير منزلى ، إذ حظين بمعاملة طيبة عند أسيادهن وتمتعن بنفوذ كبير ، فقك كُن بمثابة أمهات لكثير من أمراء بنى أيوب (٣٠). وأما فى بلاد اليمن ، فقد شهد العصر الأيوبى جملة من التغيرات فى البنية الاجتماعية للمجتمع اليمنى حيث أدخل الأيوبيون عناصر جديدة من الأتراك والأكراد وسائر الأعاجم ، وأصبحوا أصحاب صولات وجولات ، وأرباب رأى ونفوذ ، فكان لهم عظيم الأثر على الحياة الاجتماعية اليمنية ، ولعبوا أدوار هامة متعددة ، وكان الوضع فى البدء غير يسير حيث أن ولاة اليمن من العرب الأقحاح ، ومن الصعب تحويل دفة السيطرة صوب غيرهم (٣١)، وليس من المبالغة القول بأن الجوارى داخل قصور هؤلاء الأمراء كان لهم الدور العظيم فى تغيير البنية الاجتماعية اليمينة من عرب خلصاء إلى نسيج مشترك متعاون ، فقد كانت الجوارى فى بلاد اليمن خاصة فى تهامة ممن عملن فى التدبير المنزلى ، واختطلن بسائر طبقات المجتمع اليمنى ، صاحبات التغييرالجوهرى فى المجتمع اليمنى ، حتى قيل :" أعلموا أن عرب هذا التهائم ، يستولدون الجوار السود ، فالجلدة السوداء تعم العبد والحر" (٣٢)، وهو تعبير عن سيطرة هؤلاء الجوارى على مقاليد الأمور فى بلاد اليمن ، وكونهن سواء مع الأحرار مكانة ومقاما .

ج ـ طب النساء والتوليد

مارسن الجوارى مهنة الداية أو القابلة ، واشتهر منهن من كانت من بلاد الروم ؛ وكان لهن براعة فى متابعة الجنين ومعرفة الذكر من الأنثى ، وإن كانت لا تصدق فى غالب الأحوال ، وقد شكلن القابلات الجاريات فى المجتمع الأيوبى دوراً صحياً هاماً ، ففى عصر كانت الرعاية الصحية شحيحة؛ يثمن دور الطبيب والمعالج ، ويكن له دور بارز ،وهو ما كان تلك القابلات اللواتى لم يكن جميعاً فى صف واحد ، فقد كانت البارعة مختصة بتوليد أبناء الملوك وكبار رجالات الدولة ، أما ما دون ذلك ، فكان للعامة من الرعية !! (٣٣) . وكانت

إحدى طرق التدريب هى مصاحبة القابلة لمساعدة لها ، وإعدادها لمهنة طب النساء ، ومعرفة أسراره ، فقد كان اتقان المهنة أحد أسباب الثراء ، ولكن كانت ميسورات الحال من القابلات " لا تتقاضى أجرا على عملها ، ولكنه كان استثناء للقاعدة ، فقد كانت القابلات يحصلن على أجور ، غير أنها متفاوتة بين الكثير والقليل ، حسب حالة البيت وعائلة المولود(٣٤) . واجتذبت مهنة القبالة العديد من الجوارى ، وكان معظمهن عارفات بالأدب والفنون ، بالإضافة إلى معرفة الطب وعلم الطبائع والتشريح وغير ذلك مما يقصر عنه علماء الزمان(٣٥). فقد عرفت الجوارى فى مصر ممارسة مهنة القبالة واشتهر منهن الكثيرات ، خاصة من الأرمن والأحباش ، وكان لهن معرفة كبيرة بالطب وعلومه ، فقد عرف العصر الأيوبى ومن قبله الفاطمى كثرة أعداد الجوارى القادمات من بلاد الجهاد التى اشتهر بعضها بالبراعة فى الطب وفنونه كبلاد الروم والهنود والأحباش ، وكان منهن من يجمعن بين الخدمة فى قصور الحكام والأمراء ومهنة القبالة ، وكان من أشهرهن أم عثمان الحبشية ، وكذلك أم سمراء السودانية التى كانت تقطن بجوار قلعة صلاح الدين الأيوبى ، وعلى يديها ولد الكثير من أولاد وبنات علية القوم وصفوته (٣٦). وأما فى بلاد الحجاز، فقد مارسن مهنة القبالة عددٌ من الجوارى الحبشيات ، وبلغ بعضهن شهرة واسعة ، ومنهن : سعادة مستولدة الشريف محمد بن بركات ، وكذلك (أبرك السنين المولدة) ، وكان العصرالأيوبى هو البداية الحقيقية لاستقدام جوارى عاملات فى مهن غير تقليدية كالقبالة والتجارة وغيرها ؛ لذا كان العصراللاحق له ، وهو العصر المملوكى شاهداً على أسماء لامعة فى عالم القبالة وطب النساء ؛ خاصة مع استقدام الهنديات والتركيات صاحبات الخبرة العريضة فى هذا المجال ، ومن هؤلاء : سعادات الهندية ، وشماسة الهندية جارية الشيخ عبد المعطى ، وكذلك جان حبيب التركية (٣٧). وأما فى بلاد اليمن زمن الأيوبيين ، فقد كان للجوارى القادمات من بلاد الحبش والروم والترك ، دورا مميزا فى عملية القبالة ، وأدخلوا عددا من التدابير الاحترازية التى ساهمت فى التقليل من عدد الوفيات بين المواليد الجدد ، واشتهر منهن حبيبة الرومية ، ولم يقتصر دورالجوارى على التوليد فحسب ، بل إنهن شاركن فى حفلات الولادة التى عرفها المجتمع اليمنى في عصور مختلفة ،ومنها العصر الأيوبى ، فقد كان منهن منشدات على مدى الأربعين يوما التالية للولادة ، اذ ان كثيراً من القابلات كن منشدات للمدائح النبوية والمواعظ (٣٨).

ثانيا : الأدوار والوظائف غيرالتقليدية : يعد العصر الأيوبى هو البداية الحقيقة لشغل الجوارى أدوارا ومهاما غير تقليدية ، والتى يأتى فى مقدمتها وأهمها ؛ التعليم والتدريس ، التجارة والصناعة ، وذلك على النحو التالى :**أ . التعليم والتدريس :** حفل العصر الأيوبى بجاريات معلمات وفقهيات ؛ وبلغن بعضهن مرتبة الإفتاء والمرجع فى المذاهب الفقهية الأربعة ، فقد كانت الجوارى يأتين صغارا ، ويتلقين علوم العربية والشريعة الإسلامية ، حتى صار بعضهن علما فى مذهب أو حجة ومرجع فى الإفتاء ، ففى مصر ذكر المؤرخون أن هناك جوارى معلمات وفقهيات للمذهب الشافعى بالمدرسة الناصرية الأولى التى أنشئها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ، وقد برعن إلى حد أنهن كان محل رضا وقبول من العامة ؛ متفوقات فى ذلك على فقهاء أجلاء ذوى أسماء رنانة ، ولم يكن من السهل على أيا من العلماء رجال وسيدات ، بلوغ المكانة المرموقة فى ظل وجود علم الأعلام ،ورئيس المذهب الشافعى أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسينى الدمشقى المعروف بـ (ابن زين

التجار) التى تسمت المدرسة بإسمه فترة طويلة حتى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى (٣٩) ؛ وهو ما يشهد أن العصر الأيوبى شهد عصرا ذهبيا لتاريخ الجوارى العلمى. كما عرفت مدرسة العاشورية التى أوقفتها الست عاشوراء بنت ساروح الأسجدى زوجة الأمير ياذكوج الأسدى التى اشترتها من الطبيب اليهودى ابن جميع ، وأوقفتها على تدريس المذهب الحنفى ، وكان ممن يدرسن بالمدرسة إحدى جواريها ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أسماءاً أو ترجمة للمعلمات والمدرسات بتلك المدرسة !!(٤٠) . كما درسن فى المدرسة الفاضلية التى بناها القاضى الفاضل كاتب صلاح الدين الأيوبى ، وكانت المدرسة تدرس الفقه المالكى والشافعى معاً ، وكانت زاخرة بكتب قيمة لم تعرفها سوى تلك المدرسة(٤١) . وشهدت بلاد الشام فى العصر الأيوبى حركة علمية نسوية نشطة ، ساهمت فيها المرأة بشكل عام ومنهن الجوارى بدور فاعل فى تنشيط الحياة العلمية ، سواء بكونهن معلمات أومساهمات فى بناء دور العلم والتدريس ؛ فأضحت المرأة فى العصر الأيوبى ، صاحبة حق فى التدريس والحصول على الإجازة ، ويذكرلنا ابن عساكر(ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م) أحد كبار المؤرخين فى تاريخنا الإسلامى ،أنه درس على يد ثمانين امرأة وتيف!! (٤٢). ولهذا ، فقد اشتهرت العديد من النساء اللاتى تفرغن للتدريس فى المدارس والبيوت الذين تخصصوا فى علوم كالحديث والفقه وإقراء القرآن ، ومنهن : أسماء بنت إبراهيم من ربات العبادة والزهد والصلاح ، وكانت تلقى على النسوة القرآن وتعلمهن العلم ، وعرفن عنها اجتهادها فى العلم والنبوغ فى المسائل الشرعية والفقهية (٤٣)، كما اشتهرت أم القاسم واحدة من ربات البر والإحسان ، وكان بيتها مجمعا للنسوة المنقطعات والأرامل ، وكانت تعلم البنات الكتابة والقراءة وأصول التجويد والفقه الإسلامى (٤٤)، كما عرفت بلاد الشام المحدثة الفاضلة عائشة بنت إبراهيم بن الصديق التى لقنت النساء وأقرأت عدة نساء وختمن عليها وانتفعن بها ، وحدثنا ابن كثير(ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) عنها : " بأنها عديمة النظر لكثرة عبادتها ، وحُسن تأديتها للقرآن، تُفَضلُ فى ذلك على كثير من الرجال " (٤٥). وأما بلاد الحجاز ، فلم تعرف أسماء بارزة فى التعليم والتدريس فى مختلف المدارس والمؤسسات التعليمية ـ باستثناء طاب الزمان الحبشية ـ ولكنها عرفت معلمات درسن مبادىء القراءة والكتابة سواء فى المدارس أو الكتاتيب التى كان لها دور عام فى الحياة العلمية والثقافية فى بلاد الإسلام قاطبة ، فالكُتّاب هو أول مراحل إعداد النشء لخوض الحياة العلمية ، ففيه يتعلم أصول التربية قبل القراءة والكتابة ؛ وله أيادى بيضاء على أجيال متعاقبة من تاريخ علماء العرب والمسلمين حتى وقت قريب (٤٦). وعرفت مدرسة الأرسوفى بمكة المكرمة أقدم مدارس بلاد الحجاز لمؤسسها التاجر العسقلانى عفيف الدين بن عبد الله بن محمد الأرسوفى (ت ٥٩٣هـ/١١٩٦م) ، تدريس المعلمات مبادىء القراءة الكتابة وبالأخص للبنات والصغارالجوارى (٤٧). وشهدت مدرسة طاب الزمان الحبشية عتيقة الخليفة المستضى بالله العباسى (ت٥٧٧هـ/١١٨٠م) ، معلمات وفقهيات ولكن قصرن تعليمهن على النساء فقط ، وكانت تلك المدرسة موقوفة على عشر من الفقهاء الشافعية المقيمين بمكة المكرمة (٤٨). كما كانت مدرسة النهاوندى بمكة المكرمة ، واحدة من المدارس المشهورة بتعليم الفتيات مبادىء القراءة والكتابة ، وبالطبع كان يقوم بتلك المهمة الجوارى اللاتى تلقين نصيبا وافرا من العلم وصنوفه خاصة العربية والفقه الإسلامى (٤٩) . وعرفت بلاد اليمن معلمات وفقهيات حاولن مواكبة ما كان عليه أهل مصر والشام ، ولكن ظل دورهن فى العملية التعليمية باليمن حتى آخر العصر الأيوبى ؛ قاصرا على تعليم مبادىء القراءة والكتابة فى المساجد والكتاتيب أو المدارس التى اشتهر منها المدرسة العاصمية ؛ نسبة إلى

الفقيه عمر بن عاصم الشافعى ، ومدرسة الدحمانية بمدينة زبيد المنسوبة إلى الفقيه محمد بن دمان الحنفى (٥٠). فقد سار معظم حكام وأمراء الدولة الأيوبية باليمن ؛ متاثرين بما عايشوه فى مصر والشام من إصلاحات وتقدم فى مختلف المجالات ، ومن ثم نقلوه إلى اليمن ، وأصبحت اليمن تحت حكمهم بلدا يجذب اليه الخبرات ومقصداً للتجار والعلماء بعد أن كانت طاردة لهم (٥١) .وكان للأيوبيين أيادى بيضاء على تلقى كافة طبقات المجتمع العلم وآدابه ، وبالطبع كانت النساء والجوارى منهن حريصات على تلقى العلم وصنوفه ، فقد وفر العصر الأيوبى المناخ التعليمى النموذجى فى المدارس اليمينة ، بحيث يمكننا القول بأن الأيوبيين هم المؤسس الحقيقى للمدرسة باليمن (٥٢).**ب ـ التجارة والصناعة:** واحد من أهم الأدوار غير التقليدية التى قام بها الجوارى فى العصر الأيوبى ، فقد نتج عن الحروب الأيوبية مع الصليبيين رواجا للتجارة والصناعة ؛ لحاجة الجيش إلى الملبوسات والأغذية، مع تزويد الداخل بما يلزم ، حتى لا تحدث الفتن والاضطرابات التى تعرقل مسيرة الجيش وجهاده ، فقام بعض من الجوارى بهذا الدور ، وهو دور غير مألوف ولكن شهده العهد الأيوبى ، فقد كان الملك العادل أبو القاسم نور الدين عماد الدين زنكى (٥٦٩.٥١١هـ / ١١٧٤.١١١٨م) (٥٣)، يأمر بصناعة أنواع متعددة من الملابس ، ويخصص لها الحوانيت ، لبيعها فى أسواق القاهرة وحلب ودمشق (٥٤) وأدت الجوارى دورا هاما فى الحركة التجارية الأيوبية ، تلك الحركة التى كانت تمثل دعامةهامة لاقتصاد الدولة الأيوبية ، وهو ما جعلها رغم الحروب والفتن ، نشطة ومنظمة ومؤمنة ، فقد عمل الأيوبيون على تطوير كافة الأنظمة الاقتصادية ، ورعايتهم للتجارة مع المدن الإيطالية وسائر أصقاع العالم ، وهو ما كان له المردود الإيجابى على الحركة التجارية فى عهدهم (٥٥) ، واقتضت تلك الحركة الرائجة ؛ وجود الفنادق والخانات للتجار الغرباء ، وهى ما كان بعضها ملكا لعدد من الجوارى ، إما عطاء من سيدها ، مثلما كان الحال فى مصر مع الجارية "الحافظية أرغون" عتيقة الملك العادل التى امتلكت أموالا طائلة ، بالإضافة إلى أوقاف أوقفتها على المسجد والتربة ، وبلغ حد ثرائها أن ما صودر منها بلغ أربعمئة صندوق من المال ، فقد كانت واحدة من أثرياء المجتمع وصفوته (٥٦) كذلك الأمر مع جارية "اللطيف بن الناصح الحنبلى " صاحبة التآليف والتصانيف الشهيرة ، التى بلغت ثروتها نصف مليون درهم ، بالإضافة إلى الأوقاف والأملاك (٥٧). فقد كانت الفنادق والخانات تجارة رابحة ، تجذب إليها الكثير من المستثمرين والمستثمرات من الحرائر والجوارى على السواء ؛ وشجع هذا الوضع ؛ الدولة الأيوبية على الاهتمام بها ، وترتيب أمر القائمين عليها ، فهى إحدى وسائل الراحة التى تبحث عنها كل تجارة رائجة، وكان للفنادق دور هام فى الحركة التجارية ، فهى المحطة الرئيسية للتوريد والتصدير معاً ، فقد كان يقصدها التجار الأجانب ؛ بغية تصريف بضائعهم ، وجلب ما تريده بلادهم (٥٨). وأما فى بلاد الشام ، فقد ساهمت الجوارى فى الحركة التجارية ، فهى إما تتاجر لسيدها ،أو تتاجرلنفسها بعد عتقها ، وساعدهن أن بلاد الشام فى عصر الملك الناصر، قد شهدت رواجا تجاريا وصناعيا كبيرا ، اذ عرفت بلاد الشام حالة من الاستقرار السياسى ، بعدما استعاد صلاح الدين الأيوبى حصنى الكرك والشوبك من الصليبيين (٥٩) ، مما كان له أثر كبير على الحركة التجارية والصناعية ، كما ساهمت الوحدة بين بلاد الشام ومصر منذ عهد الدولة الزنكية ، فى تنشيط التجارة والصناعة فى العصر الأيوبى ، ليس فى بلاد الشام وحدها بل بين أرجاء العالم الإسلامى سواء مصر أو بلاد الشام أو الحجاز واليمن، وهو ما شجع دخول طوائف اجتماعية غير تقليدية فى مجال التجارة والصناعة ، ومنها الجوارى والأرقاء (٦٠) وأما بلاد الحجاز ،

فهى ذات الصيت الذائع فى مجال التجارة ، وأتى العصر الأيوبى ،والمدن الحجازية على شهرتها فى التجارة ، ومن أهم مدنها : مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والطائف ، ويعد أبرز عوامل النمو التجارى الدائم لبلاد الحجاز وبالأخص مكة المكرمة هو موسم الحج الذى يعج بالحجيج وحركات البيع والشراء المستدامة ، كما أن موقعها وقربها من ميناء جدة الواقعة على ساحل البحر الأحمر والقوافل التجارية القادمة من اليمن والشام ومصر ، مكنها من تبوء مكانة تجارية رفيعة (٦١). فكانت الجوارى تقوم بالتجارة فى ما تصنعه أيديهن من ملابس ومنسوجات ، حيث اشتهرت بعض المنسوجات النسوية للجوارى بسمعة تجارية متميزة ، وحفلت أسواق مكة والمدينة بمنتجاتهن التى تتمتع بجودة وإتقان فائق (٦٢)، كما كانت تتاجر الجوارى فى مختلف البضائع الواردة من الهند إلى مكة كالبهارات والأحجار الكريمة والجواهر ومختلف أنواع الطيب كالمسك ، والكافور ، والعنبر وغيرها (٦٣)، وكذلك البضائع الواردة من اليمن والشام والعراق ومصروالحبشة كالأقمشة والمنسوجات والحرير ، كما كان للتجارة الداخلية نصيب من حجم تجارة الجوارى ، فقد كن يبعن مختلف أنواع الفواكه القادمة من الطائف (٦٤)، واشتهرت من التاجرات عائشة العجمية التى كانت تجلب البضائع من عدن إلى أسواق مكة طيلة العام (٦٥). وبالنسبة لبلاد اليمن فهى البلد العريق فى الصناعة والتجارة معا، وزاد تألقها مع العصر الأيوبى ؛ حيث غدت مركزا تجاريا وصناعيا هاما للشرق أجمعه وللتجارة العالمية ، اذ كانت السفن التجارية القادمة من شتى مرافىء الهند والصين والسواحل الشرقية للقارة الإفريقية تصل إلى عدن تفرغ حمولتها ؛ إيذانا بحركة تجارية كبرى تصل إلى بلاد الحجاز ومصر حيث الإسكندرية ومنها إلى بلاد أوروبا (٦٦). وكانت مدينة عدن من أكثر المدن اليمينة ازدهارا ؛ لذا كان كثرة الوارد إليها ؛ محفزا للجوارى بدفع أموالهن التى أتين بها من الغناء أو عطايا من موالهن إلى مجال التجارة وبالأخص تجارة العطور وأدوات الزينة ، فقد كان عدد السفن الراسية فى ميناء عدن سنويا لا يقل عن سبعين سفينة وأكثر ؛ لذا سميت عدن بأنها (عين اليمن) ، وهو ما كان أكبر محفز لكافة الطوائف للدخول بقوة مجال التجارة ، فقد قيل لا عجب لمن دخل عدن بألف درهم وخرج فى ذات اليوم بألف دينار؛ وهو شاهد على قوة الحركة التجارية بالميناء (٦٧). كما كانت مدينة زبيد اليمنية من أهم المدن الصناعية والتجارية زمن الأيوبيين ، حيث اشتهرت بمصانع النسيج وغزارة منتوجاتها الزراعية ، وساهمت الجوارى فى الحركة الصناعية والتجارية بمدينة زبيد ، فكن يصنعن بأيديهن شتى المنسوجات ويكلفن غيرهن ببيعها أويبعنها بأنفسهن(٦٨) .

ـ المبحث الثانى : الأدوار الحضارية والسياسية لصفوة الجوارى وخاصتهن

قامت الجوارى بأداء أدوار حضارية وسياسية ؛ كان لها بالغ الأثر على المجتمع الأيوبى ، وكان ذلك على هذا الضرب :

أولا: الأدوار الحضارية : ساهمت الجوارى بنصيب وافر من البناء الحضارى للدولة الأيوبية فى كل من بلاد الشام ومصروبلاد الحجاز واليمن ، وتمثلت مظاهر هذا البناء فى العديد من المنشآت الدينية والثقافية كالمدارس والمساجد والمستشفيات والأربطة والخوانق والأوقاف على شتى ما يخدم المجتمع الأيوبى ، وفى مقدمته الوقف على المؤسسات التعليمية ودورها ، وهو ما أثرى بدوره الحياة الاجتماعية فوق خارطة الدولة الأيوبية (٦٩) ، ويظهر جليا ويسبق كافة الأدوار الحضارية اللاتى قمن بها الجوارى فى العصر الأيوبى ،

دوران حضاريين كان لهما التأثير الجوهرى على تغيير البنية الاجتماعية للمجتمع الأيوبى ، وهما على هذا النحو

١ ـ **بناء المدارس والمؤسسات التعليمية** يجب قبل البدء فى الحديث عن دور الجوارى فى بناء المدارس ؛ معرفة أسباب بنائها والغاية المبتغاة منها زمن الأيوبيين ، وبالأخص زمن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ، والتى يمكن إيجازها فيما هو آت :

١ـ محاربة العقائد الفاسدة والفكر المنحرف ،وعلى رأسها العقيدة الفاطمية الباطنية .
٢ـ نشر المذهب السنى .
٣ـ إثارة الحماس ضد الفرنجة فى الحروب الصليبية .
٤ـ تقوية نفوذ الأمراء ، وإخراج أجيال موالية مؤيدة .
٥ـ ابتغاء مرضات الله وطلب الأجر والمثوبة من رب العالمين (٧٠) .

وعليه ، فقد حظى العلم والعلماء بعناية كبيرة فى العصر الأيوبى وبالأخص زمن صلاح الدين الأيوبى ، فكان الاهتمام بإنشاء المدارس ودورالعلم سمة اجتماعية فى كافة بقاع الدولة الأيوبية بمصر وبلاد الشام والحجاز واليمن (٧١)، فقد كانت المؤسسة التعليمية توفر لطلبتها كافة المقومات الحياتية من مأكل ومشرب وكساء وملبس ، فقد كانت المدارس مؤسسات تربوية واجتماعية بامتياز ، فقد كانت المدارس تحتوى على مسجد ومسكن للمعلم ومكتبة عامرة بذخائر ونفائس الكتب(٧٢). تنوعت المدارس المذهبية في مصر بعهد الأيوبيين، فبعضها شافعي أو حنفي أو حنبلي، أو مالكي، وقد تكون للحديث أو تدرس أكثر من مذهب، وتنوع من قام بإقامة المدارس فبعضها أنشأها السلطان أو زوجاته أو بعض الأغنياء أو النساء من السيدات والجوارى ، وكذلك تنوعت مدخولات هذه المدارس، فمنها من أوقف عليها الأوقاف أو تكفل بها فرد أو مجموعة، وقد يديرها منشأها أو يكلف عليها شخص او تديرها دور الأحباس وخاصة أوقاف الأمراء الأيوبيين(73) . تنافست جميع طوائف الشعب فى إنشاء المدارس ودور العلم ، وكان من بين تلك الطوائف ، طائفة الجوارى التى ترقت اجتماعيا وصارت ذات ذمة مالية مستقلة ، فقد تبارت الجوارى فى مصر فى إنشاء العديد من المدارس صاحبة السمعة الطيبة ، ومنها (مدرسة منازل العز) ،وهذه المدرسة كانت في دور الخلفاء الفاطميين بنتها أم الخليفة العزيز باهلل بن المعز، وعرفت بمنازل العز، وكانت تشرف على النيل، وأنزل بها بعد زوال الفاطمية الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة ثم اشترتها جاريته حُسن الجمال ،وأوقفت منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها حمام الذهب (٧٤) . وكذلك المدرسة القطبية الواقعة بالقاهرة أول حارة زويلة عرفت صاحبتها الست عصمت الدين مؤنسة خاتون ابنة المالك العادل أبي بكر بن أيوب تركت مالًا كثيرًا، وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها الفقهاء وقراء ويشتري لها وقف فبنيت هذه المدرسة وجعل بها دروس للشافعية والحنفية (٧٥). وأما فى بلاد الشام ، فقد اشتهرت مدرسة (العالمة) ؛ لتدريس فقه الحنابلة ، واتخذت موقعها شرق الرباط الناصرى غرب سفح جبل قاسيون تحت جامع الأفرم ، واوقفتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلى (ت ٦٥٣هـ/ ١٢٣٧م) ، وكانت فاضلة لها تصانيف ، وهى التى أرشدت سيدتها ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب أخت اسلطان صلاح الدين الأيوبى إلى وقف

المدرسة الصاحبية بقاسيون على الحنابلة (٧٦) .وتميزت هذه المدرسة بالبناء الشاهق المبنى بالحجر الأحمر ذات باب كبير جميل الصناعة والهندسة ، وبداخله قبة عالية ، وكان بهذه المدرسة دار حديث ، درس بها محمد بن هامل الحرانى ، وكان له عناية كلية بالحديث وعلومه (٧٧) . وكذلك المدرسة الحافظية التى أنشاتها الخاتون أرغوان الحافظية ، ويطلق عليها أيضا "أرغوان العادلية" ؛ لأنها كانت جارية الملك العادل وأعتقها (٧٨) ، ويرجع سبب تسميتها بالحافظة إلى تربيتها للملك الحافظ أرسلان بن الملك العادل صاحب قلعة جعبر (٧٩). وكانت الحافظية قد اشترت بستانا للنجيب غلام التاج لاكندى بالصالحية تحت قورا قرب عين الكرش ، وبنت على البستان مدرسة وتربة (٨٠)، وهما يقعان الآن جنوب ساحة الميدان بدمشق ، وتسميها العامة "ستى حفيظة" ، أو "ستة حفيظة" ؛ نسبة إلى ست من حفظة القرآن الكريم ، ويعتقد العامة بأن المدفونة والية صالحة تسمى "حفيظة" ، وبها يحلفون "وحياة ستى حفيظة" ، كما يحلفون بحياة الشيخ "زنكى"!!. يشغل المبنى الآن الجمعية الجغرافية السورية (٨١).وأما فى بلاد الحجاز ، فقد تأخر إنشاء المدارس بطابعها النظامى إلى القرن السادس الهجرى /الثانى عشر الميلادى ، حيث بدأت المدارس تظهر وتزداد ، وتتسابق السلاطين والأمراء والأثرياء من الرجال والنساء ، وكان للجوارى نصيب من هذا التنافس الحميم ، تلك المدارس التى أثرت بشدة على الحياة الاجتماعية فى بلاد الحجاز (٨٢).وأشهر مدرسة أقامتها الجوارى فى بلاد الحجاز هى مدرسة (طاب الزمان الحبشية) ، حيث أوقفت طاب الزمان المدرسة على عشرة من الفقهاء الشافعية ؛ ليتولوا إدارتها والتدريس بها (٨٣). ولم يتوقف بناء المدارس فى بلاد اليمن زمن الأيوبيين على السلاطين والمراء ، بل امتد إلى الحاشية والخدم ؛ ومن ذلك بناء مجيرالدين كافور أحد خدام الملك العزيز طغتكين ؛ المدرسة المجيرية فى تعز(٨٤) ، وكذلك بناء المدرسة الفاتنية بمنطقة ذى جبله ومدرسة المسانيف على يد فاتن بن عبدالله أحد موالى المعز إسماعيل بن طغتكين (٨٥)، وبناء جمال الدين ياقوت الجمالى والى حصن تعز زمن طغتكين ؛ مدرستين : المدرسة الشرفية فى تعز ، والمدرسة الياقوتية فى ذى السفال(٨٦) ، وللأسف لم نعثر فى المصادر التاريخية ثمة إشارة إلى بناء الجوارى مدارس أو أى من المؤسسات التعليمية كالكتاكيب أو الأربطة والخوانق .

٢ـ الأوقاف : لعبت الأوقاف ـ خاصة ما كان منها على دور التعليم ومؤسساته ـ دورا كبيرا فى نهضة المجتمع وتطوره ، وكان للوقف على المؤسسات التعليمية ؛ هدفا ساميا ، ألا وهو الإعداد لمحاربة الإفرنج المسيطرين على أجزاء كبيرة من بلاد الشام منذ العام ٤٩١هـ/١٠٩٧م ، وغرس قيم التضحية والجهاد فى نفوس الناشئة ؛ بغية تحرير الأرض واستردادها من أيدى المعتدين ؛ لذا تسابق الجميع لوقف كل ما استطاع وقفه ؛ تلبية لتلك الفريضة الحاضرة ؛ وهو ما حدا بالمؤرخ الشهير ابن جبير(٥٤٠ـ٦١٤هـ/١١٤٥ـ١٢١٧م) واصفا كثرة الأوقاف المرصدة للعملية التعليمية قائلا:" ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة من بساتين وأرض بيضاء ورباع ، حتى أن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيه " (87). فقد لعبت الأوقاف دورا عظيما فى تطور المجتمع الأيوبى ودعم مؤسساته الاجتماعية من مدارس ومساجد وأربطة وخوانق ودور رعاية أيتام ومشافى وما إلى ذلك ؛ مما كان له عظيم الأثر على قوة المجتمع الأيوبى وتضامنه (88) . وكان للجوارى دور فى

هذا الموقف الاجتماعى الكبير ، فقد أوقفن الكثير من أموالهن وممتلكاتهن على المؤسسات الاجتماعية ، ساهمت بقدر ليس بالقليل فى تحقيق هدف الأمة من نيل المراد والمُبتغى ، ففى مصر ، أوقفت العديد من الأوقاف على بناء المساجد والإشراف على الكبرى منها ؛ مما ساهم فى جعل تلك المساجد مركزا للحركة العلمية فى العالم الإسلامى (89). وانتشر كذلك نظام الوقف على الأيتام وتعليمهم وكسوتهم ، خاصة مع مواجهة الدولة الأيوبية لأزمات اقتصادية نتاج الحروب الصليبية والمعارضين ؛ ومن هنا كان للوقف أهمية كبرى فى الاستقرار السياسى الداخلى والحفاظ على الأمن الداخلى فى ظل حروب الدولة الضارية (90). وأوقفت فى مصر على المدارس زمن الأيوبين العديد من الأوقاف ، فقد أوقف على المدرسة القمحية ضيعة بالفيوم ، ووقف عليها قيسارية الوراقين ، كما أوقف تقى الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبى على منازل العز الحمام وفندق النخلة والروضة (91) . واتخذت الأوقاف فى العصر الأيوبى خصوصية ؛ حيث إنها رافقت الحروب الصليبية ، فكانت هذه الأوقاف وسيلة لفك الأسرى ؛ فأوقف صلاح الدين الأيوبى جميع الموارد المتحصلة من مدينة بلبيس ؛ لفك أسرى بلبيس من أيدى الصليبيين أثناء حملتهم على مصر سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) ؛ وحذا رجال الدولة وميسورو الدولة رجالا ونساءا أحرارا وجوارى ، حيث أوقف القاضى الفاضل دارالتمر على فكاك أسرى المسلمين ببلاد الفرنج (92) . وأما فى بلاد الشام ، فقد كان للوقف دورٌ جَدّ عظيم فى كافة المناحى الحياتية ، فما تجد منحى اجتماعيا إلا وللوقف دور ومهام ؛ لذا أطلق المؤرخون على الوقف فى دمشق زمن الأيوبيين (عصرالأوقاف النسائية) ؛ فقد نافسن الرجال بقوة على أعمال الخير ومآثره (93) . ومن أشهر أوقاف الجوارى وقف العالمة أمة اللطيف التى حصلت من سيدتها ربيعة خاتون على أموال عظيمة ، فقد وجد لها بدمشق جواهر وذخائر نفيسة قاربت الستمئة ألف درهم غير الأملاك والأوقاف التى أوقفتها على تعليم الأيتام ورعايتهم (94) . وأوقفت أمة اللطيف على المدرسة العالمة ؛ بستان بجسر البطة والغيضة الثانية، وحكر ابن صبح عند الشامية(95) . وامتازت العالمة بميزة عن غيرها من السيدات الواقفات الأيوبيات ، حيث كانت صاحبة مؤلفات فى علوم الدين كنحو : " التسديد فى شهادة التوحيد" ، وكتاب " بر الوالدين " (96). وساهمن الميسورات من الجوارى وأثرياء البلاد فى وقف الأسرى ببلاد الشام ، حيث زاد الاهتمام بوقف الأسرى تلك المحاولات الخطيرة التى جرت لتنصير الأطفال المسلمين أثناء الحملة الهنغارية على بلاد الشام ٦٠٤هـ/١٢١٧م ، فكان ذلك مدعاة لكافة طبقات المجتمع ؛ المساهمة فى فك الأسرى ومنع تنصير أطفال المسلمين ، فنجد القاضى كمال الدين الشهرزورى(ت٥٧٢هـ/١٢١٧م) أوقف قرية الهامة بوادى نهر بردى من ضواحى دمشق على فك الأسرى ، كما ذكر أن مسرور أحد خواص الملك ، وشمس الدنيا الفارسية إحدى جواريه المقربين قد أوقفا خانا مكونا من تسعة وتسعين بيتا على فك الأسرى(97) . وسجلت لنا المصادر التاريخية أوقاف دهن اللوز أوقافا عظيمة كضيعة ناحية دمشق ، وأخرى فى حماة على دعم الوعاظ والخطباء ، والإنفاق على وجوه الحث على الجهاد، ومعالجة ما يعترى أفراد المجتمع من أزمات ومعضلات (98). ولا ريب أن المظاهر الحضارية التى ساهمت فيهن الجوارى ، بالكثرة التى يصعب حصرها ، فلم تكن المدارس

والأوقاف بنود المساهمة الاجتماعية فحسب ، بل كان لهن دور فى بناء المساجد والأربطة والخوانق والفنادق والحمامات وغير ذلك مما ساهم فى الازدهار الحضارى للمجتمع الأيوبى ، ولكن كان التركيز على المدارس والأوقاف ، لما لهما من دور أساسى لا غنى عنه ، فالخانقاه ربما يكون وجودها لفصيل اجتماعى دون غيره ، أما ، ويعم أثره الإيجابى على الكافة دون تفرقة أو تمييز ؛ المدارس والأوقاف ؛ أمر يخص جميع طبقات المجتمع ويوضح هذا أسباب بناء النساء أحرار وجوارى خمسة عشرة مدرسة بدمشق وحدها فى أقل من مئة عام ، وقيامهن بالتدريس للرجال والنساء على السواء كـ ربيعة خاتون أخت السلطان صلاح الدين الأيوبى ، والعالمة أمة اللطيف صاحبة المدرسة الشهيرة (99). واشتهرت بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى بنوع من الأوقاف ، وهو أوقاف الأربطة ، حيث كان له صلة وثيقة بالحجاج الوافدين إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج ، وكذلك لطلاب العلم المجاورين ، فقد كانت تلك الأربطة هادفة إلى توفير الراحة لطلاب العلم والحجيج ، فيوفرون لهم ؛ المسكن والمأكل والمشرب(100) وساهمت المرأة فى هذا الوقف سواء من الأحرار أو الجوارى ، فقد أُشتهر رباط أم الخليفة الناصر العباسى ، المعروف بالعطيفية؛ لأن الشريف عطيفة صاحب مكة المكرمة كان يسكن هذا الرباط ، وقد كان الرباط وقفا على فقراء الصوفية (101) واشتهر كذلك رباط مآثر طاب الزمان الحبشية ، حيث تركت طاب الزمان الحبشية من المآثر بمكة المكرمة ؛ الدار المعروفة بدار زبيدة ، التى أوقفتها على عشرة من فقهاء الشافعية(102) . وأما عن الأوقاف النسوية فى اليمن ، فيمكننا القول بأن الأوقاف فى اليمن زمن الأيوبيين قد احتلت الصدارة فى اهتمامات المجتمع بطبقاته المختلفة التى شكلت الجوارى منه حجما ليس باليسير ، وشكلت ظاهرة عامة فى اليمن، تركت بصماتها فى الوسط الاجتماعى نتيجة تعدد الأغراض التى أقيمت من أجلها ، فمنها ما خُصص لصالح الفقراء والمساكين ، ومنها ما هو لرعاية الأيتام والوافدين على اليمن من طلاب العلم (103) ، ومنها ما خُصص لإصلاح المدارس والمساجد وكفاية القائمين والمرتبين فيها ، ومنها لأعمال الخير ، فقد انتشرت الأوقاف فى عصر الدولة الأيوبية بشتى أنحاء اليمن ، وقد شملت الأراضى الزراعية والكتب الفقهية والدور والحوانيت والخانات والفنادق والحمامات والمعاصر والمجازر...إلخ (104) . وفى الحقيقة ، على الرغم من كثرة الأوقاف فى اليمن زمن الأيوبيين ، فلم تُسجل لنا المصادر التاريخية أوقافا بأسماء جوارى بالتحديد ، فالحديث عن دورهن فى الأوقاف حديثٌ عام دون تخصيص وتحديد.

ثانيا : الأدوار السياسية للجوارى فى العهد الأيوبى: لعبت الجوارى على امتداد العصور الإسلامية أدوارا هامة ومثيرة فى التاريخ العربى وفى صياغة الكثير من وقائعه السياسية ، فيكفى أنهن كُنّ أمهات لكثير من أمراء المؤمنين والخلفاء والسلاطين الذين حكموا الدولة الإسلامية سواء العباسية أو الفاطمية أو الأيوبية والمملوكية ، وقاموا بأدوار عظيمة فى تاريخ الأمة الإسلامية ؛ فرفعوا من شأنها وذادوا عن حماها ، وتركوا بأسمائهم وأعمالهم بصمات واضحة فى تاريخ العرب والمسلمين ، ولم يكتف الجوارى بكونهن أمهات السلاطين والأمراء فحسب ، بل كان منهن من أدت أدوار سياسية سجلت فى سجل التاريخ الإسلامى(105) ، ويأتى على رأس تلك الأدوار وأبلغها تأثيرا فى الحياة السياسية ، دوران بارزان ، وهما :

أ. الحفاظ على ولاية العهد : ورث النظام السياسى الأيوبى نظامه السياسى من الأنظمة السابقة عليه من الزنكيين والسلاجقة ، وأثرت تلك الأنظمة في النظام السياسى والإدارى للدولة الأيوبية ، فعندما آلت الأمور للأيوبيين بعد الفاطميين ؛ استحدث النظام الأيوبى منصبا جديدا على غرار ولى العهد بمسمى نائب السلطنة ، اذ جرت الدولة على ما كانت عليه دولة الأتابك عماد الدين زنكى (٤٧٩-٥٤١هـ/١٠٨٧-١١٤٦م) بالموصل ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود(٥١١-٥٦٩هـ/١١١٨-١١٧٤م) ببلاد الشام (١٠٦).فالحفاظ على ولاية العهد يعنى الاستقرار السياسى والأمن الداخلى والخارجى ، وهو دور سياسى لا يستهان بأدائه ومهامه ، وهذا الدور هو واحد من الأدوار السياسية التى لعبتها الجوارى ، ولم يكن الأمر بالسهولة المتوقعة ، كُنّ أحيانا يستطعن وأحيان أخرى تكون الظروف والنظرة الاجتماعية حائل أمام تحقيق هذا الدور ، ومن هذا نجاح ضيفة خاتون(١٠٧) (٥٨١-٦٤٠هـ/١١٨٥-١٢٤٠م) (١٠٨) بنت الملك العادل (٥٣٨-٦١٥هـ/١١٤٣-١٢١٨م) والى حلب (١٠٩)عندما توفى زوجها الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين الأيوبى (٥٦٧-٦١٣هـ/١١٧٢-١٢١٦م) تملك حلب ابنها الملك عبد العزيز محمد بن غازى (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٦م) وكان صغير السن عمره ثلاث سنوات ، فقامت بتدبير شؤون المملكة إلى أن كبر وولى المملكة ، متخطية أخيه الأكبر الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٠٣-٦٤٧هـ/١٢٠٥-١٢٤٩م) ولى العهد الحقيقى والأجدر بالسلطنة لأنه أكبر سنا(١١٠) ، ولكنه أُخر لأن أمه (ورد المنى) جارية سوداء ، ولكن تلك الجارية كان لها دور فى تجميع المماليك حوله يلوحون بقوتهم ومساندتهم للملك الصالح ، فما استطاع آل أيوب تخطيه تلك المرة ، وبالفعل ملك البلاد بفضل دور أمه الجارية التى هُزمت جولة ولكنها كسبت المعركة(١١١). وكان الجوارى يعانين من أداء دورهن هذا ، وهو فى حاجة إلى شخصية قوية ومقومات لا تتوافر لكثير منهن ، فكثيرا ما صارت الأمور على غير رغبتهن ، ومن ذلك : أن الملك الناصر داود بن عيسى صاحب الكرك استناب ابنه المعظم وهو ابن جارية على الكرك عندما سار إلى بغداد؛ فتألما ولداه : الأمجد والظاهر ؛ لكونه استناب أخوهم المعظم وهو ابن جارية ، فاتفقا مع أمهما بالقبض على المعظم والاستيلاء على الكرك (١١٢). وأبرز أدوار المحافظة على ولاية العهد كان لـ رضا خاتون التى أسّرها نور الدين زنكي في أعقاب الحملة الصليبية الثانية؛ وهى أم الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود زنكى (٥٥٧-٥٧٧هـ/١١٦٢-١١٨١م) حيث قامت بتدبير ملك ابنها فى دمشق وحلب والمحافظة عليه حتى كبر(١١٣) ، فالملك الصالح عندما توفى أبوه كان صغير السن ؛ فملكوه دمشق وحلفوا له بمدينة حلب ؛ فأدارت أمه شؤون الحكم وكان يساعدها المملوك (شاذ بخت) وابن القيسرانى(١١٤) ، ولكن عندما جاء صلاح الدين الأيوبى من مصر أخذ منه دمشق ؛ فرحل إلى حلب ، وسار صلاح الدين إلى حلب وحاصرها ثلاث مرات ، ولكن تم الصلح فى نهاية الأمر ، وبقيت حلب فى يد الصالح إسماعيل(١١٥)، وعرفت أمه بالدهاء ففى العام (٥٧٢هـ/١١٧٦ م) طلبت من صلاح الدين قلعة أعزاز بحجة أن بقائها فى يد ابنها ضمان لمنع الحركات الإنقلابية ضده حكمه الوليد ؛ فاقتنع الملك الناصر ومنحها قلعة أعزاز وأكرمها بهدايا ثمينة فاخرة (١١٦). وعلى الرغم من تلك الواقعة فإن صلاح الدين كان ضد تولية ولاية العهد لمن أمه جارية (٥٣٢-٥٨٩هـ/ ١١٣٨-١١٩٣م) ، حيث أنه منع حفيده أحمد بن الملك الظاهر غازى من ولاية العهد ؛ لأن أمه أمة ؟!! ، فقد صادف هذا العصر وبالأخص فى بدايته الحرص المستميت من المرأة الأيوبية على ولاية العهد لأبنائها، وكان أولاد الجوارى خارج حسابات هذا العصر ، وكان السلطان صلاح الدين الأيوبى هو صاحب تلك السياسة الطبقية التى شكلت

القاعدة فى بدايات الحكم الأيوبى الذى تغير تماما مع أخريات هذا العهد الذى صار المماليك فيه أصحاب السطوة والنفوذ وأقام دولتهم على أنقاض الدولة الأيوبية(١١٧)؛ حيث برز دور نساء القصر الأيوبى فى المرحلة الأخيرة من عمر الدولة الأيوبية ، وهى مرحلة الضعف عقب غياب القيادات القوية التى مثلتها حقبة صلاح الدين الأيوبى ؛ فصار لهن الدور الأبرز فى تولية العهد ، ومن هذا؛ دور (الست السوداء بنت الفقيه نصر) زوجة السلطان الكامل الأيوبى (١١٨) (٥٧٦-٦٣٥هـ/١١٨٠-١٢٣٨م) وأم ولده السلطان العادل الثانى(٦١٨-٦٣٧هـ/١٢٢٢-١٢٤٠م) التى لعبت دورا كبيرا فى تنحية الملك الصالح نجم الدين أيوب عن ولاية العهد ،والعمل على إسناد المنصب لابنها العادل الذى لم يتجاوز الحادية عشر من عمره ، فلم يروق لها تعيين السلطان الكامل ابنه الصالح نجم الدين أيوب وليا للعهد ، على الرغم من توصية السلطان الكامل ولده الصالح بها خيرا ، حيث قال : " يا ولدى أنت ابنى وولى عهدى من بعدى وصاحب المملكة والرأى والحزم ، فلا تخالفنى فيما أأمرك فيه ، وهذا أخوك ملك العادل صغير السن وأمه غريبة عنا ؛ فتلطف بها وتكرمها ولا تشوش عليها ، وما تفعله معى تفعله معها ، وأنا متوجه إلى بلاد الروم والله العالم من يعيش إلى الغد " (١١٩).وما إن وصل السلطان الكامل إلى بلاد الشام من اجل إعادة الاستقرار بعدما شهدت البلاد حركات معارضة عاتية ضد السلطان ، وما إن استقرت الأمور للسلطان الكامل فى دمشق وباقى البلاد الشرقية بعد أن اضطربت عليه (١٢٠) ، حتى وصلته رسالة من زوجته أم ولده العادل تشكو من ولى عهده الملك الصالح بن أيوب ، وهذا نصها : " استيقظ من نومك فإنك لما رحلت إلى الروم ، وأوصيت الملك الصالح علينا لا تسل ما نحن فيه من الضنك والذل والإهانة والجوع والقلة ، قد اشترى ما أمنته على أموالك وعلينا خمسمئة مملوك وسماهم البحرية وأعطاهم الأخبار الثقال ما بين العشرين ألفا والثلاثين ألفا ، وقد استولى على الديار المصرية ، فدارك أمرك وأنهض إن كنت نائما فاستيقظ وألحق بالديار المصرية قبل أن يفوت أمرها" (١٢١)　وعاد السلطان فورا ووقع فى كيدهن العظيم ، فقام بعزل الملك الصالح وعنفه على فعل وأغلظ عليه قائلا:" يا عبد النحس يا كلب يا ملعون والله لا أبقينك بعدها " ، وأوعز إلى مماليكه بإغراقه ،وحال دون التنفيذ وساطة الأمراء وكبار رجال الدولة ؛ فأبعده إلى الديار الشرقية وعزله من ولاية العهد وعين العادل الثانى بدلا منه (١٢٢) ، ، ونجح مخططها فى تولية العهد لابنها ولكن سرعان ما توفى السلطان الكامل ، فقام الصالح بن أيوب ، بالقبض على أخيه العادل وعزله من منصبه فقد مكرت أمه بالصالح (١٢٣)، ولكن الله خير الماكرين . وهكذا تبين أن لعب هذا الدور السياسى بات أساسيا فى أخريات العصر الأيوبى؛ لكثرة المماليك من كافة الأجناس وعلى رأسهم الجنس التركى ، فصارت الكلمة العليا للمماليك دون سواهم ، وأصبحت الجوارى شغلها الشاغل الحفاظ على ولاية العهد ، الذى يدفعها إلى ارتكاب جريمة القتل لتحقيق مبتغاها ، وأبرز مثال لهذا ؛ قتل أم الملك المنصور نورالدين على بن أيبك (٦٣٩-٦٩٩هـ/١٢٤٢-١٣٠٠م) لشجر الدر(ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م) (١٢٤) التى أرادت الحيلولة دون تولى المنصور الحكم وذلك بقتل أبيه ، فعاجلت أم المنصور بقتلها وقتل طموحها نحو الحُكم والسيطرة ؛ حفاظا على كرسى المُلك لأبنها الصغير(١٢٥).ولم تكتف الجوارى فى أخريات العصر الأيوبى بلعب الأدوار السياسية الثانوية على الرغم من أهميتها كما اتضح فى أمر ولاية العهد ، فقد تطلعت للحُكم بنفسها ، ونجحت وخطب لها على المنابر ، ولكن كان المآل ليس بالمحمود وهو ما تتناوله النقطة البحثية التالية .

ج ـ الحُكم والسلطان : لا نجد أمامنا سوى شجر الدر(ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م) (١٢٦)، فما قامت امرأة سواء من الحرائر أو الجوارى عبر تاريخ الدولة الإسلامية بدورٍ سياسى مثلما قامت به السلطانة شجر الدر ، فقد كان زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٠٣-٦٤٧هـ/ ١٢٠٥ـ١٢٤٩م) (١٢٧)، لا يبت فى أمر إلا بعد مشورتها وتعدى الأمر أكثر من ذلك ، حيث كان يعهد لها بالإدارة السياسية للبلاد فى غيابه ، وهو ما جعل سلطانها يطغى على سلطانه فى كثير من الأحيان ، وهو ما يؤكد تمكن صفوة الجوارى من الحياة السياسية ، وقيامها بالأدوار السياسية فى العهد الأيوبى على أكمل وجه (١٢٨). وكانت بدايتها السياسية مع قدومها إلى مصر حيث كانت لا زالت جارية الملك الصالح على الرغم من ولادتها لابنها خليل الصالح ، ولكنها استطاعت بذكائها وشخصيتها القوية أن تكون القلب النابض للحكم الأيوبى فى عهد الملك الصالح ، وتمكنت من تبوء مكانا ساميا فى البلاط الحاكم ، وغدت صاحبة الأمر والنهى ؛ وبالأخص بعدما استطاعت إقناع الملك الصالح باستقدام المماليك واتخاذهم سندا وعزوة ضد خصومه ومناوئيه ، وبالفعل خضع لأوامرها ، واستقدم الكثير منهم وقام بتدريبهم ؛ ليكونوا درعاً له وسيفا ضد المؤمرات الداخلية قبل الخارجية ؛ وأسس بهم المماليك البحرية ذائعة الصيت فى تاريخ العسكرية الإسلامية (١٢٩). وأتى دورها الأشهر فى التاريخ الإسلامى ؛ ليفصح عن شخصية سياسية محنكة ، فقد قامت بإخفاء موت زوجها الملك الصالح ؛ وتصادف موته مع حصار الفرنجة لمدينة دمياط المصرية ، فأخفت موته ، حتى لا تحبط الروح العسكرية للمجاهدين ، وكانت توقع بتوقيعه بعدما اتقنته بعد طول مطالعة مراسيمه وأوامره السلطانية، وكانت عندما يسأل أحد عن السلطان تقول :" ما هو طيب " ، ومنعت أحد من الدخول عليه مطلقا ، وحتى تتم خطتها كانت تقيم الموائد يوميا ، وكلٌ فى موقعه سواء كان المسؤول كبيرا أو صغيرا (١٣٠).وإمعانا فى الذكاء السياسى ، قامت قبل الإعلان عن وفاة الملك الصالح أيوب ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ، بإحضار كبار رجالات الدولة كـ الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ (١٣١) ، ومحسنا الطواشى(١٣٢)، ومجموعة من الأمراء ، وجلست من وراء حجاب ، وقالت لهم : " السلطان يأمركم أن تحلفوا لولده المعظم "توران شاه" ؛ فإنه عهد له بالمُلك من بعده ؛ فحلفوا ، فأعلنت خبر الوفاة واستقدمت توران شاه (١٣٣) واستغل الفرنجة إعلان خبر وفاة الملك الصالح ، وكون المسلمين أصبحوا بلا رأس .فيما يظنون .فتقدموا نحو مصر وأشعلوا موقعة حربية عظيمة ، استشهد فيها الأمير فخر الدين(١٣٤) ؛ فأخذت شجر الدر تدبير الأمور على أكمل وجه ؛ فى انتظار قدوم توران شاه ، الذى بوصوله ارتفعت الروح المعنوية للمقاتلين وعموم الشعب المصرى (١٣٥). ولكن سرعان ما صدق رأى أبيه الصالح فى كونه نزقا طائشا لا يصلح للسياسة وأمورها ، حيث أظهر عداءا فى غير محله لشجر الدر؛ وهو ما أغضب مماليكها ؛ فكانت أوامرها بقتله(١٣٦)؛ فأغرقوه وقطعوه وأحرقوه !! (١٣٧). ونادى بها أمراء المماليك وعلية القوم بشجر الدر ملكة على مصر ، وخطبوا لها على المنابر فى عموم البلاد المصرية قائلين : " وأحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين عصمت الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة السلطان الملك الصالح " (١٣٨). ولكن لم يستمر ملكها سوى ثمانين يوما ، فلم ترق مملكتها للخليفة العباسى المستعصم بالله (٦٤٠ـ٦٥٦هـ/ ١٢١٣ـ١٢٥٨م) الذى خاطب المماليك قائلا: " إن لم يكن لديكم رجالا ، فلنرسل لكم" ، كما لم يستسغ المصريون امرأة على سُدة الحُكم حتى لو كانت شجر الدر، وهنا قدمت شجر الدر نموذجا فى الإيثار السياسي وتغليب الصالح العام ، حيث لم ترض بتقاتل المسلمين على السلطة والأعداء داخل البلاد ؛ فتنازلت عن السلطة .ولو

شكليا ـ لقائد الجيش "عز الدين أيبك" (٦٠١-٦٥٥هـ/ ١٢٠٥-١٢٥٧م) ، ولكنها تزوجته ؛ حفاظا على نفوذها وسطوتها السياسية (١٣٩)، وعندما حاول إثناءها عن دورها السياسى ، وعزمه الزواج من ابنة صاحب الموصل ؛ لتقوية نفوذه السياسى ودعم سلطانه ؛ قامت شجر الدر بقتله على يد مجموعة من غلمانها(١٤٠) ، ولكنها أساءت التقدير هذه المرة ، حيث تكالب المطالبون بالثأر لمقتل عزالدين أيبك ، تتقدمهم طليقته "أم الملك المنصور" التى طُلقت بناءا على طلب شجر الدر وشرطها لإتمام الزواج ، وقامت أم على بنت الأشكرى وأم الملك المنصور برشوة حراس قصرها ، وعلمت شجر الدر بذلك ؛ فتأكدت أنها من تعداد الأموات لا محالة ، وفكرت حينئذ فى شىء غريب على مَنْ هو مقبل على الموت قتلا ، ألا وهو منع أيا كان من التمتع بعدها بجوارهرها وحليها ، فقامت بسحقها فى هاون وذرتها فى الهواء!!؛ وعندئذ كانت على الاستعداد للقتل ، ولم يمر كثيرا حتى هاجمتها أم الملك المنصور وجواريها ، وأوسعوها ضربا بالقباقيب ؛ حتى لفظت أنفساها ، وألقوها من فوق القلعة ، وظلت جثتها أياما ؛ يعبث بها السفهاء ، ويتشفى فيها الغرماء !! (١٤١) . وهكذا يُسدل الستار على مَنْ لعبت كافة الأدوار السياسية التى عرفها التاريخ سواء من تأييد المجاهدين وإدارة البلاد بحنكة واقتدار إلى القتل السياسى ، واعتلاء كرسى الحكم ، ثم تقديم إيثار سياسى بالتنازل الشكلى عن السلطة ، وعندما أحست أن التنازل سيصبح موضوعا وحقيقيا ، قتلت وبكت على قتيلها !!، ولكنها كانت المرة الأخيرة التى مارست فيه القتل السياسى ، والذى سرعان ما مورس ضدها ، فلقت حتفها بعدما أضحت مطبوعة فى كتب التاريخ الإسلامى أنها صاحبة الأدوار السياسية بكافة أنواعها وصنوفها ، وما موتها المأساوى إلا ختام يليق بشخصية تاريخية لا نظير لها فى التاريخ السياسى النسوى !

الخاتمة :

أظهر البحث كيف أن الجوارى أدت أدورا كبيرة وعديدة فى العهد الأيوبى إلى الحد الذى يمكن أن نطلق على هذا العهد" عهد سطوة الجارية ومُلكها " ، فقد امتلأت القصور والبيوت الكبيرة فى جميع فئات المجتمع الأيوبى بعددٍ كبيرٍ من الجوارى والإماء ، وصار المجتمع الأيوبى مطبوعا كليًة بطابع الجوارى وقيادتهن ؛ فقد أدت الجوارى فى العصر الأيوبى ؛ أدوارا جديدة ـ مع الحفاظ على الوظائف والمهن التقليدية ـ فإن كان منهن مغنيات ونائحات ومربيات ، فقد صار منهن عالمات وراويات حديث وفقيهات ، وبلغن بعضهن مرتبة الإفتاء والمرجعية فى المذاهب الفقهية الأربعة ، ، وقد برعن إلى حد أنهن كّنُ محل رضا وقبول من العامة ؛ متفوقات فى ذلك على فقهاء أجلاء ذوى أسماء رنانة ، كما أدت الجوارى دورا هاما فى الحركة التجارية الأيوبية ، تلك الحركة التى كانت تمثل دعامةهامة لاقتصاد الدولة الأيوبية ، وترآءى كيف كان لهن تجارة ومال خاص، استطعن به الولوج إلى عالم الاقتصاد والمال ؛ وهو ما ساعدهن على المساهمة الفاعلة فى إثراء المجتمع الأيوبى بالعديد من المظاهر الحضارية التى ساهمت فيهن الجوارى ، بالكثرة التى يصعب حصرها ، فلم تكن المدارس والأوقاف بنود المساهمة الاجتماعية فحسب ، بل كان لهن دور فى بناء المساجد والأربطة والخوانق والفنادق والحمامات ، ووقف الكثير من الأوقاف لخدمتها وصيانتها ، وغير ذلك مما ساهم فى الازدهار الحضارى للمجتمع الأيوبى

،ولم يقف الأمر عند بناء المجتمع الأيوبى من خلال أدوارهن الحضارية ، فقد كان لهن أدوارا سياسية هامة تمثلت فى حفظ ولاية العهد ، ولكن يبقى الدور السياسى الذى لعبته شجر الدر ؛ ألا وهو الحُكم والقيادة ؛ دورا خالدا فى سجل التاريخ السياسى النسوى العالمى قبل الإسلامى ، لما به من من حكمة تارة ، وشطحة تارة أخرى ، ولعل الخاتمة المأسوية هى ما خلدت هذا الدور السياسى خلود التاريخ ؛ وصارت معه شجرالدر علامة خالدة على التاريخ السياسى للمرأة ، وأضحت معه محل ثناء لكثير من المؤرخين ، وتعاطف لكثير من العوام .

وأتى البحث بعدد من النتائج والتوصيات ، على هذا النحو :

النتائج :

١. لعبت الجوارى فى العصر الأيوبى أدوارا حضارية وسياسة ، ألقت بظلالها السياسية والاجتماعية على المجتمع الإسلامى فى العصر الأيوبى .

٢. أبرزت المكانة السامية التى وصلتها الجوارى فى العهد الأيوبى ؛ سماحة الإسلام ، وتفرده فى معاملة الأسرى والسبايا حتى صار منهم عالما أو حاكما.

٣. عظم دور الأيوبيين وأياديهم البيضاء على التاريخ العسكرى الإسلامى ، بتصديهم ضد عدوان الصليبيين ومناؤيى الإسلام .

٤. شهد العصر الأيوبى ـ خاصة الفترة الصلاحية ـ تكاملاً عسكرياً واقتصادياً بين مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن .

٥. كان الاتحاد ووَحْدة الصف أهم عوامل الرواج التجارى والصناعى فى العصر الأيوبى.

التوصيات :

تتمثل فى طرح عدد من النقاط التى يمكن أن تكون نواة لأبحاث جديدة ، ومنها :

١. دور أمهات الولد فى الحياة السياسية للخلفاء والأمراء.

٢. دور الجوارى فى التصدى للصليبيين وأعوانهم .

٣. دراسة أثر التربية والتنشئة للجوارى والأماء فى مواقفهم وأدوارهم الحضارية والسياسية .

٤. أثر الأوقاف الإسلامية فى النهضة العلمية والاجتماعية .

٥. دراسة أسباب الوحدة والفرقة فى العصر الأيوبى ، وأثارها ونتائجها على المجتمع الإسلامى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

الهوامش

[١] - الرازى ، محمد بن أبى بكر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٨م): مختار الصحاح ، دار الرسالة (الكويت د.ت)، ص ٢٩٤.

[٢] - الجاحظ ، عمرو بن بحر : رسائل الجاحظ ، تحقيق : هارون ، عبد السلام محمد ، ج٢، مكتبة الخانجى (مصر١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م)، ص ١٥٦.

[٣] - العباس ، عبدالحليم : البرامكة فى بلاط الرشيد ، مطبعة الجريدة التجارية المصرية (القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م)، ص٣٨.

[٤] - الجاحظ : البيان والتبيين ، ص ٢٩٦.

[٥] - المنجد ، صلاح الدين : بين الخلفاء والخلعاء فى العصر العباسى ، دار الحياة (بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ص٨.

[٦] - ابن الأثير، عزالدين أبى الحسن الجزرى الموصلى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) : الكامل فى التاريخ ، منشورات مكتبة جامعة كولومبيا (نيويورك ١٨٩٦م) ، ج٦، ص٤٠-٤١.

[٧] - طقوش ، محمد سهيل : تاريخ الأيوبيين فى مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة (٥٦٩.٦٦١هـ/١١٧٤.١٢٦٣م)، ط٢، دارالنفائس (بيروت ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٨.

[٨] - الخوانق : أو الخوانك جمع خانكاه ، وهى كلمة فارسية معناها بيت ، وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك . وابتدعت الخوانق فى الدولة الإسلامية حوالى ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م. ينظر: المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ (الخطط المقريزية)، ج٢، تحقيق : محمد زينهم ، و الشرقاوى ، مديحة ،ط١، مكتبة مدبولى ، (القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٤١٤.

[٩] - الأربطة : مفردها رباط وجمعها أربطة أو رباطات أو ربط ، ويطلق لفظ الرباط .عربى الأصل .على مكان إقامة الحامية المرابطة عند ثغور العدو . وقد انبثقت فكرة الأربطة عن الخوانق فكانت للصوفية المتطرفين الذين يرفضون مواكبة التطور ، ولا يريدون التواجد مع الصوفية المعتدلين فى الخوانق ؛ فأنشئت لهم تلك الأربطة وكذلك الزوايا . ينظر: كيرة، نجوى كمال: الجوارى والغلمان فى العصرين الفاطمى والأيوبى (٣٥٨.٩٦٩هـ/١٢٥٠م) (دراسة سياسية اجتماعية) ، ط١، مطبعة زهراء الشرق (القاهرة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م)، ص٤٨٧.

[١٠]- معاذ، عبدالرازق: إسهام المرأة في العمارة بدمشق خلال العهد الأيوبي، مجلة التراث العربي، مجلد (٨) عدد (٩)، اتحاد الكتاب العرب (دمشق١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٢١٧.

[١١] - الشيرازى ، أبو إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الفيرزآبادى (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م): المهذب فى فقه الإمام الشافعى(كتاب عتق أمهات الأولاد)، ، مج(٢) ، ط٢، دار المعرفة (بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ص٢٠.

[١٢] - ابن أبى أصبيعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدى الخزرجى (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، ج٢، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، منشورات جامعة كولومبيا (نيويورك ب.ت) ، ص١٧٥.

[١٣] - سبط ابن الجوزى ، شمس الدين أبو المظفر بن قِزْأُوغلى التركى (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ،ج٢١، تحقيق : دار الرسالة العالمية (دمشق ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ص ٣٩١.

[١٤] - الذهبى ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق : تدمرى ، عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربى (بيروت ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص ١٢١.

[١٥] - حلمى ، محمد أحمد : الحياة العلمية فى مصر والشام (٦٤٨٥٢٠هـ /١١٢٧.١٢٥٠م) ، المجلة التاريخية المصرية ، مج (٧) ، (القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) ، ص٢٠.

[١٦] -الذهبى ، تاريخ الإسلام ، وفيات ٦٣١.٦٤٠هـ، ص ٤٣١.

[١٧]- الكيلانى ، ماجد عرسان : هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، ط٣، دار القلم للنشر والتوزيع (دبى ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م)، ص٣١٢.

[١٨] - سيد ، عبد الهادى محمد حمدان : وسائل الترفيه فى العصر الأيوبى بمصر والشام (مجالس الغناء والموسيقى نموذجا ٦٤٨٥٦٧هـ/ ١١٧١.١٢٥٠م)، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ع ٤١، ج٢ ، جامعة الأزهر. أسيوط (جمهورية مصر العربية١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م) ، ص ١٥١٢.١٥١٣م.

[١٩] - ابن دقماق ، صارم الدين إبراهيم القاهرى (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م): نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام ، تحقيق : طبارة ، سمير ، ط١، المكتبة العصرية (بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص٩٩.

[٢٠] - ضمان القيان : ضريبة على الجوارى محترفات الغناء ، فقد كانت لا تخرج مغنية إلى حفل إلا بعد أن يأخذ الضامن منها مبلغا من المال . ينظر : ابن الجوزى ، سبط : مرآة الزمان فى تواريخ الأعيان ، تحقيق : الزيبق ، إبراهيم ، ج٢٢ ، ط١، مؤسسة الرسالة (دمشق١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣ م)، ص ٢٣١.

[٢١] - العمرى ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩هـ /١٣٤٩م) : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق :الجبورى ، كامل سلمان ، ج١٠، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، ص ٦٣٥.٦٣٦.

[٢٢] - أبو شارب ، حازم فارس على : فن السيرة فى الأدب الأيوبى (كتاب الاعتبار أنموذجا) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الأوسط (الأردن ٢٠١٠م)، ص٢٨.

[٢٣] - النويرى ، نهاية الأرب ، ج٢٩،ص١٤١.

[٢٤] - السخاوى ، الضوء اللامع ، ج١٢، ص ٨٩.

[٢٥] - الخزرجى ، موفق الدين أبو الحسن على بن الحسن (ت ٨١٢هـ) : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق : عسل ، محمد بسيونى ، ج٢، مطبعة الهلال (القاهرة ١٢٣٩هـ/ ١٩١١م) ، ص ٢٣٩.

[٢٦] - ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء، ص ٦٠٥.

[٢٧] - ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبى المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ /١٤٧٠م) ، النجوم الزاهرة فى تاريخ مصر والقاهرة ،ج٦، مطبوعات وزارة الإرشاد القومى (القاهرة د.ت) ، ص ١٦٦.

[٢٨] - البغدادى ، عبد اللطيف (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م) : الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، تحقيق: سبانو ، أحمد غسان ، ط١، دار قتيبة (دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) ، ص ٨٩.

[٢٩] - الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٣، ص ٢٩٩.

[٣٠] - السخاوى ، الضوء اللامع ، ج١٢، ص ٦٥.

[٣١] - غزالى ، نصارى فهمى محمد : المظاهرالسياسية والحضارية فى اليمن على العهد الأيوبى ، رسالة دكتوراة ، كلية الدراسات العربية ، جامعة المنيا (مصر ١٩٩٣م)، ص ٢٤٣.

[٣٢] - عمارة ، المفيد ، ص٦٥.

[٣٣] - الأصفهانى ، سنا البرق الشامى ، تحقيق : الحيارى ، مصطفى ، ج٣، ط١، مؤسسة عمان (المملكة الأردنية الهاشمية ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م) ، ص ٧٦.

[٣٤] - ابن الداية : أبو جعفر أحمد بن يوسف (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م) ، كتاب المكافأة وحُسن العقبى ، تحقيق : شاكر ، محمود محمد ، ط١، المكتبة التجارية الكبرى (مصر ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) ، ص١٣٧.

[٣٥] - ابن عذارى ، أبو العباس المراكشى (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : بروفنسال ، ليفى ، ج١،ط٣، دار الثقافة (بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ص٣٠٨.

[٣٦] - المقريزى ، خطط المقريزى ، ج٢، ص١٩٣.

[٣٧] - ابن فهد ، العز عزالدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد القرشى الهاشمى (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م) بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق: إبراهيم ، صلاح الدين خليل ، ج٣، ط١، دارالقلم (القاهرة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ، ص ١٩٨٩.

[٣٨] - الواسعى ، عبدالواسع بن يحيى : تاريخ اليمن المسمى بـ فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن) ، مطبعة حجازى (القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م) ، ص ١٢٤-١٢٥.

[٣٩] - ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٥٥.

[٤٠] - ابن عبد الظاهر ، محى الدين بن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م): الروضة البهية الزاهرة فى الخطط المعزية القاهرية، تحقيق : سيد ، أيمن فؤاد ، مكتبة الدار العربية للكتاب (القاهرة د.ت) ، ص٨٩.

[٤١] - النعيمى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، ج١، ص٩٢.

[٤٢] - كحالة ، عمر رضا : أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام ،ج٣، مؤسسة الرسالة (بيروت د.ت)، ص١٧٣.

[٤٣] - كحالة ، أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام ،ج١، ص٤٣.

[٤٤] - كحالة ، أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام ،ج٤، ص١٧٣.

[٤٥] - كحالة ، أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام ،ج٤، ص٤.

[٤٦] - الصالح ، عبد الرحمن : تاريخ التعليم ، ص٥٥.

[٤٧] - المقريزى ، الخطط ، ج٢، ص٣٦٤.

[٤٨] - ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٢٤٢.

[٤٩] - الصالح ، عبد الرحمن : تاريخ التعليم ، ص٦٣.

[٥٠] - الجندى : بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ) : السلوك فى طبقات العلماء والملوك ، تحقيق : الأكوع ، محمد بن على ، ج٢، ط١، مكتبة الإرشاد (صنعاء ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، ص٥٣٧.

[٥١] - السبكى ، عبدالوهاب بن على (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى ، مج ٥، تحقيق: الحلو ، عبدالفتاح محمد ، منشورات وزارة الإرشاد القومى (القاهرة ١٩٦٤م)، ص١٥٥.

[٥٢] - النصر،محمد سيف : المدارس اليمينة ، مجلة الإكليل ، السنة الثالثة ، ع١، وزارة الثقافة اليمينة (صنعاء ١٩٨٥م)، ص ٩٩.

[٥٣] - محمود زنكى (٥٦٩.٥١١هـ/١١٧٤.١١١٨م): العادل نور الدين محمود بن زنكى بن الأتابك عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة آق سنقر التركى السلجوقى الملقب بالملك العادل . ولد بمدينة حلب . ينتمى إلى قبائل الساب يو التركمانية. كان جده آق سنقر مملوكا للسلطان السلجوقى ملكيشاه بن ألب أرسلان ، فنال ثقته وولاه على بعض الإمارات فى شمالى العراق ، وخلفه ابنه عماد الدين زنكى والد محمود الزنكى .أظهر عماد الدين مقدرة عسكرية كبيرة فى جهاده ضد الصليبيين ؛ فجعله السلطان محمود السلجوقى أتابكا اى مربيا لابنيه ألب أرسلان والحفاجى ، وولاه إمارة الجزيرة والموصل بالعراق وما يتبعهما . وخلفه ابنه محمود فى الإمارة ٥٤١هـ/١١٤٦م، فجعل حلب عاصمة له ، وتلقب بنور الدين واستقل عن السلاجقة . وضم دمشق إلى ملكه عشرين عاما . وشملت سلطته جميع سوريا الشرقية ، وقسما من سوريا الجنوبية ، والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وجانبا من اليمن . واسترجع نيف وخمسين مدينة من الفرنج . خطب له بالحرمين الشريفين . قام بتحصين بلاد الشام وبنى المدارس الكثيرة بدمشق كالعادلية التى أتمها بعده العادل أخو صلاح الدين الأيوبى . ومدرسة دار الحديث . وبنى الجامع النورى بالموصل ، والخانات فى الطريق . كما بنى المدرسة النورية للأحناف بدمشق. ووقف كتب كثرة ، وكان محبا للعلم والعلماء . مات بعلة الخوانيق فى قلعة دمشق ، وقبره بالمدرسة النورية . ينظر: الموسوعة العربية العالمية ، ج٢٢، ص ٣٧٥.٣٧٦.

[٥٤] - ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج٨، ص ٣١٣.

[٥٥] - جب ، هاملتون: صلاح الدين الأيوبى (دراسات فى التاريخ الإسلامى) ،ط٢، دار بيسان للنشر والتوزيع (بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ص ٢٠٤.

[٥٦] - ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٣ ، مج ٧، ص١٩٢.

[٥٧] - ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج٨، ص ٧٥٧.

[٥٨] - كاهن ، كلود : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : الشيخ ، أحمد ، ط١، سينا للنشر (القاهرة١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص ١٧٣.

[٥٩] - زكار، سهيل : تاريخ الدولة العربية فى المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد ، منشورات جامعة دمشق (دمشق ١٩٩٨م)، ص٢٩٢.

[٦٠] - الحارثى ، عدنان محمد فايز : عمران القاهرة وخططها فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، مكتبة زهراء الشرق (القاهرة ١٩٩٩م)، ص٢١٩.

[٦١] - باقاسى ، عائشة عبد الله عمر: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز (جدة١٩٨٠م) ، ص ٨١.

[٦٢] - الأصبهانى ، أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربى (بيروت ١٩٦٧م)، ج٣، ص١٥-١٧.

[٦٣] - فارتيما ، لودوفيكودى : رحلات فارتيما ، ترجمة : الشيخ ، عبدالرحمن عبدالله ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص٥٤.

[٦٤] - الزيلعى ، أحمد عمر : مكة وعلاقاتها الخارجية ، منشورات جامعة الملك سعود (الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص١٦٧.

[٦٥] - السخاوى ، شمس الدين محمد عبدالرحمن (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) : الضوء اللامع ، ج١٢، ط١، دار الجيل (بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص٨٢.

[٦٦] - المقريزى ، السلوك فى معرفة دول الملوك ، ج٣، ص٤١٦.

[٦٧] - البغدادى ، صفى الدين (ت٧٣٩هـ) : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢، تحقيق : البجاوى ، على محمد ، ط١، دار إحياء الكتب العربية (حلب ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، ص٢٤١.

[٦٨] - ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت٦٢٦هـ) : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة بـ(تاريخ المستبصر) ،ط٢، دارالتنوير (بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)،ص٩٩.

[٦٩] - معاذ، إسهام المرأة في العمارة بدمشق خلال العهد الأيوبي ، ص٢١٧.

[٧٠] - حمزة ، الحركة الفكرية ، ص٨٤.

[٧١] - محمود ، أحمد عبدالعزيز : إجحاف بحق المجاهد صلاح الدين الأيوبى (رجل عصره) ، منشورات مكتب التفسير للنشروالإعلام (أربيل ٢٠١٠ م) ، ص ٢٦٤.

[٧٢] - زكار ، تاريخ الدولة العربية فى المشرق ، ص ٢٨٠.

[73] - عبد اللطيف ، حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ا، الهيئة المصرية العامة للكتاب(القاهرة ١٩٩٩م)، ص٨٤.

[٧٤] - الدمشقى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، ص٥٠.

[٧٥] - الدمشقى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، ص٨٢.

[٧٦] - الدمشقى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، ج٢، ص ٨٧.

[٧٧] - بدران ، العلامة المتفنن عبد القادر (ت ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) : منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، منشورات لامكتب الإسلامى للطباعة والنشر (دمشق د.ت) ، ص٢٤٨.

[٧٨] - الذهبى ، تاريخ الإسلام ، وفيات ٦٤١-٦٥٠هـ، ص ٣٩١.

[٧٩] - قلعة جعبر : جعبر فى اللغة القصير الغليظ ، وجغرافيا هى الواقعة على الفرات بين بالس والرقة قرب مقابل "صفين" ، وكانت قديما "دَوْسر" ، فملكها رجل من بنى قُشرأعمى يقال له "جعبر بن مالك " ، وغلب اسمه عليها . وظلت تنتقل ملكيتها حتى آلت إلى بنى أيوب ملطا للملك الحافظ بن العادل أبى بكر بن أيوب . ينظر : الحموى ، شهاب الدين ياقوت (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) : معجم البلدان ، مج ٢، ص ١٤١-١٤٢.

[٨٠] - ابن العماد ، (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب فى تاريخ من ذهب ، ج٥، المكتب التجارى للطباعة والنشر (بيروت١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص٢٤٠.

[٨١] - الأيبش ، أحمد : معالم دمشق التاريخية ، منشورات وزارة الثقافة السورية (دمشق١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ص ٢٨٠.

[٨٢] - عبدالله ، عبدالرحمن صالح : تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، (مكة المكرمة ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م)، ص٦١.

[٨٣] - ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢، ص ٥٥٣.

[٨٤] - الأكوع ، إسماعيل بن على : المدارس الإسلامية فى اليمن ، ط٢، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص١٦.

[٨٥] - النصر ، المدارس اليمينة ، ص٩٨.

[٨٦] - بامخرمة ، أبوعبدالله الطيب بن عبدالله (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٨م): تاريخ ثغر عدن ، ج٢، مطبعة بريل ليدن (هولندا ١٩٣٦م) ، ص٢٠١.

[٨٧] - ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتانى (٦١٤هـ/١٢١٧م) : رحلة ابن جبير ، دار الينابيع (عمان المملكة الأردنية ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ، ص ٢٢٣.

[٨٨]- شاهين ، رياض: الأوقاف وأثرها على الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام فى العهد الأيوبى ، الجامعة الإسلامية (غزة ٢٠٠٦م)، ص٣.

[٨٨] - النويرى ، نهاية الأرب ، ج٣١، ص١٨٢..

[٨٨] - النويرى ، نهاية الأرب ، ج٣١، ص١٨٤.

[٨٨] شاهين ، رياض: الأوقاف وأثرها على الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام فى العهد الأيوبى ، الجامعة الإسلامية (غزة ٢٠٠٦م)، ص٣.

[٨٩] - النويرى ، نهاية الأرب ، ج٣١، ص١٨٢..

[٩٠] - النويرى ، نهاية الأرب ، ج٣١، ص١٨٤.

[٩١] - المقريزى ، المواعظ ، ج٢، ص٤٥٥.

[٩٢] - المقريزى ، المواعظ ، ج٢، ص٢٥٨-٢٥٩.

[٩٣] - معاذ، إسهام المرأة ، ص ٢٢٣.

[٩٤] - النعيمى ، الدارس ، ج٢، ص١١٢.

[٩٥] - النعيمى ، الدارس ، ج٢، ص١١٣.

[٩٦] - بدران ، منادمة الأطلال ، ص ٢٣٨.

[٩٧] - ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج١١، ص٤٤١.

[٩٨] - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣، ص٩٣.

[٩٩] - معاذ، إسهام المرأة في العمارة بدمشق خلال العهد الأيوبي ، ص٢٢٢.

[١٠٠] - مالكى ، سليمان عبد الغنى : مرافق الحج والخدمات المدنية فى الأراضى الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة (القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ٢٠٣-٢٠٥.

[١٠١] - الفاسى ،أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م): العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : الفقى، محمد حامد ، ، ج١، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص ١١٨.

[١٠٢] - الفاسى ، العقد الثمين ، ج٨، ص ٢٦١-٢٦٢.

[١٠٣] - الجندى ، السلوك ، ج١، ص٣٨٦.

[١٠٤] - السنيدى ،عبدالعزيز بن راشد : المدارس وأثرها على الحياة العلمية فى اليمن فى عصر الدولة الرسولية (٦٢٦هـ/٨٥٨م)، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ١٩٠.١٩١.

[١٠٥] - أبو العينين،سعيد:حكاية الجوارى فى قصور الخلافة،إصدارات كتاب اليوم لمؤسسة أخبار اليوم (القاهرة يونيو ١٩٩٨م) ، ص ٧-٨.

[١٠٦] -عاشور ، سعيد عبد الفتاح : مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية (القاهرة ١٩٩٩م) ، ص١٣٥.

[١٠٧] - خاتون : لفظ تركى دخل العالم الإسلامى عن طريق الأتراك ، ويعنى زوجة الملوك . ويجمع على خاتونات . ينظر : الباشا ،حسن : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، دارالنهضة (القاهرة ١٩٧٨م) ، ص ٢٦٤.

[١٠٨] - ضيفة خاتون (٥٨١-٦٤٠هـ/١١٨٥-١٢٤٠م) : سميت بذلك لأنها كان عند أبيها يوم مولدها بحلب ضيف فأسماها (ضيفة)، وكان العادل واليا على حلب آنذاك . ينظر:ابن واصل ، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ج٥، ص٣١٢.

[١٠٩] - الملك العادل (٥٣٨-٦١٥هـ/١١٤٣-١٢١٨م): سيف الدين أبو بكر بن أيوب.نائب حلب وأحد أخوة السلطان صلاح الدين الأيوبى . ينظر : الحنبلى ، أحمد بن إبراهيم : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، تحقيق : الشرقاوى ، مديحة ، مكتبة الثقافة (القاهرة ١٩٦٦م)، ص٣٧٥.

[١١٠]- ابن العماد ، الإمام شهاب الدين أبى الفلاح الحنبلى الدمشقى (ت١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٥، المكتب التجارى للطباعة والنشر (بيروت ١٩٦٦م)، ص ١٤٥.

[١١١] - ابن تغرى بردى ، حمال الدين أبى المحاسن الأتابكى (ت٨٧٤هـ): المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤م)، ص ٥٦.

[١١٢] - الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج١٣، ص ٤٨٦.

[١١٣] - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٢، ص ٤٦.

[١١٤] - الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج٢١، ص ١١٠.

[١١٥] - الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج٢١، ص ١١٠.١١١.

[١١٦] - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٢، ص ٤٦-٤٧.

[١١٧] - ابن العماد ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٥، ص٢٥٣.

[١١٨] - المقريزى ، السلوك ، ج١، ص٣٨٣.

[١١٩] - قرطاى ، الأمير شهاب الدين (ت ٧٠٨هـ): تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر ، تحقيق : هاين ، هورست ،ج٤ ، ط١، دار كلاوس شقارتس (برلين ٢٠٠٥م)، ص٤

[١٢٠] - ابن العميد ، جرجس (ت ٦٧٢هـ): أخبار الأيوبيين ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ١٩٩٠م) ، ص٢٣

[١٢١]-. قرطاى ، تاريخ مجموع النوادر ، ج٤ ص٤

[١٢٢]- قرطاى ، تاريخ مجموع النوادر ، ج٤ ص٤

[١٢٣] - ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص٢٦.

[١٢٤] - شجر الدر (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م): ملكة مصر المشهورة .وهى أم خليل عصمة الدين الصالحية أصلها من جوارى الملك الصالح نجم الدين أيوب. اشتراها فى أيام أبيه ، وحظيت عنده ، فأعتقها وتزوجها، وظلت معه فى البلاد الشامية مدة طويلة ، وعندما انتقل إلى مصر وتولى السلطنة ، كانت فى بعض الأحيان تدير أمور الدولة عند غيابه فى الغزوات . وكانت تكتب خطًا يشبه خط الملك الصالح . كانت ذات عقل وحزم ، كاتبة وقارئة ، ولها معرفة تامة بأحوال المملكة . ينظر : الموسوعة العربية العالمية ، ج١٤، ص٧٦.

[١٢٥] - العريان ، شجرة الدر ، ص١١٧.

[١٢٧] - الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٠٣-٦٤٧هـ/ ١٢٠٥-١٢٤٩م): هو السلطان الكبير الملك الصالح نجم الدين أيوب أبو الفتوح بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السلطان بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى الأيوبى سلطان الديار المصرية ، أمه جارية سوداء أسمها "ورد المُنى" . ولد بمدينة القاهرة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، ولما بلغ الثانية والعشرون استنابه على أبوه على سلطان مصر ، ووصفه بالملك الصالح ٦٢٥هـ/١٢٢٨م ؛ حينما كان متجها على رأس جيش إلى بلاد الشام .كان قائدا عسكريا فذا مجاهدا ضد الصليبيين . توفى فى ١٤شعبان ٦٤٧هـ/١٢٤٩م بعد أربعة وأربعين عاما حاكما للديار المصرية. ينظر:الذهبى ، شمس الدين محمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م) : سير أعلام النبلاء ، ج٢٣، ط١١، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص١٨٧.

[١٢٨] - ابن تغرى بردى ، يوسف بن عبدالله الظاهرى الحنفى (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج٦، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص ٣٣٢.٣٣٣.

[١٢٩] - الزيدى ، مفيد : موسوعة التاريخ الإسلامى (العصر المملوكى) ، دار أسامة للنشر والتوزيع (المملكة الأردنية١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ص ٢٠.

[١٣٠] - أمين ، محمد محمد : الأيوبيون والمماليك ، منشورات المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت (الأردن ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص٥٣.

[١٣١] - فخر الدين : هو الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ ، كان أقرب الناس إلى الملك الصالح ، وإليه القيام بأمر مماليكه وحاشيته ، فلما توفى الصالح ، استقدمته شجر الدر ، وأعلمته خبر الوفاة وأمرته بكتمان الخبر ، وكان الأمير فخر الدين عاقلا مدبرا محبا للملك الصالح ، وهو ما جعلت شجر الدر تطمئن إليه وتعلمه بخبر الوفاة التى أخفته عن خاصة الخاصة . ينظر : المقريزى ،تقى الدين أبو العباس العبيدى (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : عطا ، محمد عبد القادر ، ج ١ (٥٦٨-٦٦١هـ/ ١١٧٣.١٢٦٣م)،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ، ص ٤٤٤.

[١٣٢] - الطواشى : هو جمال الدين محسن الطواشى. أحد المقربين من الملك الصالح ؛ لذا كان محل ثقة شجر الدر شريكا مع الأمير فخر الدين فى إعلامه بخبر وفاة اللملك الصالح دون سواهما ؛ نظرا لتعقله وحُسن تصرفه . ينظر: المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١، ص٤٤٤.

[١٣٣] - توران شاه (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م) : هو السلطان الملك المعظم غياث الدين توران شاه لن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بن مروان . ولد بمصر ، وعمل نائبا لأبيه عليها ، ثم تملك بحصن كيفا وآمد بالعراق . وكان أبوه لا يعجبه طيشه وهوجه ؛ لذا كان يبعده عن صدارة المشهد السياسى والعسكرى . ينظر: الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز(ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): تهذيب سير أعلام النبلاء ، تحقيق: الأرناؤوط، شعيب ، ج٣، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ص٢٧٥.

[١٣٤] - الذهبى ، تاريخ الإسلام ، ص٣٣٨.

[١٣٥] - جمول ، جميل : مصر والحروب الصليبية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة دمشق (سوريا١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٢٢٥.

[١٣٦] - بدران ، جمال : الجوارى والحظايا ، ط١، دار المعارف (مصر ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، ص١٤.

[١٣٧] - محمد على ، وفاء : نفوذ النساء فى الدولة الإسلامية فى العراق ومصر ، دار الفكر العربى (القاهرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص١١٣.

[١٣٨] - عاشور ، سعيد عبد الفتاح : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، دار النهضة العربية (القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص١٨٢.

[١٣٩] - المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١، ص ٤٦١.

[١٤٠] - اليافعى ، عبدالله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق : المنصور ، خليل ، ج٤، ،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص١٠٥.

-العريان ، محمد سعيد : شجرة الدر (قصة تاريخية) ، مؤسسة هنداوى للنشر والتوزيع (القاهرة ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) ، ص١١٧.[١٤١]

المصادر والمراجع

أولا : المصادر:

١. ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبى المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ /١٤٧٠م) ، النجوم الزاهرة فى تاريخ مصر والقاهرة ،ج٦، مطبوعات وزارة الإرشاد القومى (القاهرة د.ت) .

٢- ابن أبى أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدى الخزرجى (ت ٦٦٨هـ /١٢٦٩م)، ج٢، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، منشورات جامعة كولومبيا (نيويورك ب.ت).

٣- ابن الأثير، عزالدين أبى الحسن الجزرى الموصلى (ت ٦٣٠هـ /١٢٣٣م) : الكامل فى التاريخ ، ج٦، منشورات مكتبة جامعة كولومبيا (نيويورك ١٨٩٦م) .

٤- ابن الجوزى ، سبط : مرآة الزمان فى تواريخ الأعيان ، تحقيق : الزيبق ، إبراهيم ، ج٢٢ ، ط١، مؤسسة الرسالة (دمشق١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣ م) .

٥- ابن الداية : أبو جعفر أحمد بن يوسف (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م) ، كتاب المكافأة وحُسن العقبى ، تحقيق : شاكر ، محمود محمد ، ط١، المكتبة التجارية الكبرى (مصر ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) .

٦- ابن العماد ، المؤرخ الفقيه الأديب الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب فى تاريخ من ذهب ، ج٥، المكتب التجارى للطباعة والنشر (بيروت١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) .

٧- ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت٦٢٦هـ) : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز السماة بـ(تاريخ المستبصر) ،ط٢، دارالتنوير (بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

٨- ابن تغرى بردى ، يوسف بن عبدالله الظاهرى الحنفى (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج٦، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) .

٩- ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتانى (٦١٤هـ/١٢١٧م) : رحلة ابن جبير ، دار الينابيع (عمان المملكة الأردنية ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) .

١٠- ابن دقماق ، صارم الدين إبراهيم القاهرى (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م): نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام ، تحقيق : طبارة ، سمير ، ط١، المكتبة العصرية (بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) .

١١- ابن شداد ، عز الدين محمد بن على إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م):الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : عبارة ، يحيى زكريا ج٢،، منشورات وزارة الثقافة السورية (دمشق١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .

١٢- ابن عبد الظاهر ، محى الدين بن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م): الروضة البهية الزاهرة فى الخطط المعزية القاهرية، تحقيق : سيد ، أيمن فؤاد ، مكتبة الدار العربية للكتاب (القاهرة د.ت).

١٣- ابن عذارى ، أبو العباس المراكشى (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : بروفنسال ، ليفى ، ج١،ط٣، دار الثقافة (بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) .

١٤- ابن فهد ، العز عزالدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد القرشى الهاشمى (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م) بلوغ القرى بذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق: إبراهيم ، صلاح الدين خليل ، ج٣، ط١، دارالقلم (القاهرة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

١٥-أبو شارب ، حازم فارس على : فن السيرة فى الأدب الأيوبى (كتاب الاعتبار أنموذجا) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة الشرق الأوسط (الأردن ٢٠١٠م).

١٦- الأصفهانى ، عماد الدين أبو عبدالله بن أبى فرح (٥٩٧هـ/١٢٠١م) ، سنا البرق الشامى ، تحقيق : الحيارى ، مصطفى ، ج٣، ط١، مؤسسة عمان (المملكة الأردنية الهاشمية ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) .

١٧- الأصفهانى ، عمادالدبن أبو عبد الله (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء مصر ، ج٢، تحقيق : أمين ، أحمد وآخرون ، منشورات دار الكتب والوثاق القومية (مصر ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) .

١٨- بامخرمة ، أبوعبدالله الطيب بن عبدالله (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٨م): تاريخ ثغر عدن ، ج٢، مطبعة بريل ليدن (هولندا ١٩٣٦م).

١٩- البغدادى ، صفى الدين (ت٧٣٩هـ) : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج٢، تحقيق : البجاوى ، على محمد ، ط١، دار إحياء الكتب العربية (حلب ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).

٢٠- البغدادى ، عبد اللطيف (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م) : الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، تحقيق: سبانو ، أحمد غسان ، ط١، دار قتيبة (دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م) .

٢١- الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م): البيان والتبيين ، تحقيق : هارون ، عبد السلام محمد ، مكتبة الخانجى (مصر١٣٩٤هـ/ ١٩٧٥م) .

٢٢- الجاحظ ، عمرو بن بحر : رسائل الجاحظ ، تحقيق : هارون ، عبد السلام محمد ، ج٢، مكتبة الخانجى (مصر١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م).

٢٣- الجندى : بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ) : السلوك فى طبقات العلماء والملوك ، تحقيق : الأكوع ، محمد بن على ، ج٢، ط١، مكتبة الإرشاد (صنعاء ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٢٤- الحجارى ، عبد الله بن إبراهيم ، وآخرون : النجوم الزاهرة فى حُلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المُغْرِب فى حُلى المَغْرِب)، تحقيق : نصار ، حسين ، مطبعة دار الكتب (القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) .

٢٥- الخزرجى ، موفق الدين أبو الحسن على بن الحسن (ت ٨١٢هـ) : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق : عسل ، محمد بسيونى ، ج٢، مطبعة الهلال (القاهرة ١٢٣٩هـ/ ١٩١١م) .

٢٦- الذهبى ، شمس الدين محمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م):سير أعلام النبلاء ، ج٢٣، ط١١، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

٢٧- الذهبى ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق : تدمرى ، عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربى (بيروت ١٤١٠هـ/١٩٨٩م) .

٢٨- الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز(ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): تهذيب سير أعلام النبلاء ، تحقيق: الأرناؤوط، شعيب ، ج٣، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

٢٩- سبط ابن الجوزى ، شمس الدين أبو المظفر بن قِزْأُوغلى التركى (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ،ج٢١، تحقيق : دار الرسالة العالمية (دمشق ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

٣٠- السبكى ، عبدالوهاب بن على (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى ، مج ٥، تحقيق: الحلو ، عبدالفتاح محمد ، منشورات وزارة الإرشاد القومى (القاهرة ١٩٦٤م).

٣١- السخاوى ، شمس الدين محمد عبدالرحمن (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) : الضوء اللامع ، ج١٢، ط١، دار الجيل (بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٣٢- شاهين ، رياض: الأوقاف وأثرها على الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام فى العهد الأيوبى ، الجامعة الإسلامية (غزة ٢٠٠٦م).
٣٣- الشيرازى ، أبو إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الفيرزآبادى (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م): المهذب فى فقه الإمام الشافعى(كتاب عتق أمهات الأولاد)، ، مج(٢) ، ط٢، دار المعرفة (بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) .
٣٤- العمرى ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩هـ /١٣٤٩م) : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق :الجبورى ، كامل سلمان ، ج١٠، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) .
٣٥- الفاسى ،أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م): العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : الفقى، محمد حامد ، ، ج١، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
٣٦- كاهن ، كلود : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : الشيخ ، أحمد ، ط١، سينا للنشر (القاهرة١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) .
٣٧- الكنانى ، أسامة بن منقذ (ت ٥٨٨هـ/١١٨٨م) : الاعتبار ، تعليق : الأشتر ، عبد الكريم ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى (دمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
٣٨- محمد على ، وفاء : نفوذ النساء فى الدولة الإسلامية فى العراق ومصر ، دار الفكر العربى (القاهرة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .
٣٩- المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ (الخطط المقريزية)، ج٢، تحقيق : زينهم ، محمد ، و الشرقاوى ، مديحة ،ط١، مكتبة مدبولى ، (القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) .
٤٠- المقريزى ،تقى الدين أبو العباس العبيدى (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م): السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : عطا ، محمد عبد القادر ، ج ١ (٥٦٨-٦٦١هـ/ ١١٧٣-١٢٦٣م)،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٤١- المنجد ، صلاح الدين : بين الخلفاء والخلعاء فى العصر العباسى ، دار الحياة (بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) .
٤٢- النويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، تحقيق : الريس، محمد ضياء ، وزيادة، محمد مصطفى ، ، ج٢٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) .
٤٣- الواسعى ، عبدالواسع بن يحيى : تاريخ اليمن المسمى بـ فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن) ، مطبعة حجازى (القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م) .
٤٤- اليافعى ، عبدالله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، تحقيق : المنصور ، خليل ، ج٤، ،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) .

ثانيا : المراجع :

١- الأكوع ، إسماعيل بن على : المدارس الإسلامية فى اليمن ، ط٢، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
٢- الأيبش ، أحمد : معالم دمشق التاريخية ، منشورات وزارة الثقافة السورية (دمشق١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) .
٣- الحارثى ، عدنان محمد فايز : عمران القاهرة وخططها فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، مكتبة زهراء الشرق (القاهرة ١٩٩٩م).
٤- الدمشقى ، محمد عبد القادر النعيمى (ت ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م) : الدارس فى تاريخ المدارس ، ج٢، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .
٥- الزيدى ، مفيد : موسوعة التاريخ الإسلامى (العصر المملوكى) ، دار أسامة للنشر والتوزيع (المملكة الأردنية١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) .
٦- الزيلعى ، أحمد عمر : مكة وعلاقاتها الخارجية ، منشورات جامعة الملك سعود (الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
٧- السنيدى ،عبدالعزيز بن راشد : المدارس وأثرها على الحياة العلمية فى اليمن فى عصر الدولة الرسولية (٦٢٦هـ/٨٥٨م)، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
٨- العباس ، عبدالحليم : البرامكة فى بلاط الرشيد ، مطبعة الجريدة التجارية المصرية (القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م) .

٩- العريان ، محمد سعيد : شجرة الدر (قصة تاريخية) ، مؤسسة هنداوى للنشر والتوزيع (القاهرة ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) .
١٠- الكيلانى ، ماجد عرسان : هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، ط٣، دار القلم للنشر والتوزيع (دبى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) .
١١- الموسوعة العربية العالمية، ج١٠، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م) .
١٢- النصر،محمد سيف : المدارس اليمينة ، مجلة الإكليل ، السنة الثالثة ، ع١، وزارة الثقافة اليمينة (صنعاء ١٩٨٥م).
١٣- أمين ، محمد محمد : الأيوبيون والمماليك ، منشورات المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت (الأردن ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
١٤- بدران ، العلامة المتفنن عبد القادر (ت ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) : منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، منشورات لامكتب الإسلامى للطباعة والنشر (دمشق د.ت) .
١٥- جب ، هاملتون: صلاح الدين الأيوبى (دراسات فى التاريخ الإسلامى) ،ط٢، دار بيسان للنشر والتوزيع(بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) .
١٦- جمول ، جميل : مصر والحروب الصليبية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة دمشق (سوريا١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) .
١٧- حلمى ، محمد أحمد : الحياة العلمية فى مصر والشام (٥٦٤٨٥٢٠هـ/١١٢٧-١٢٥٠م) ، المجلة التاريخية المصرية ، مج (٧) ، (القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) .
١٨- زكار، سهيل : تاريخ الدولة العربية فى المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد ، منشورات جامعة دمشق (دمشق ١٩٩٨م).
١٩- سيد ، عبد الهادى محمد حمدان : وسائل الترفيه فى العصر الأيوبى بمصر والشام (مجالس الغناء والموسيقى نموذجا ٥٦٤٨٥٦٧هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ع ٤١، ج٢ ، جامعة الأزهر. أسيوط (جمهورية مصر العربية١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م) .
٢٠- عاشور ، سعيد عبد الفتاح : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، دار النهضة العربية (القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) .
٢١- عبدالله ، عبدالرحمن صالح : تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، (مكة المكرمة ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م).
٢٢- غزالى ، نصارى فهمى محمد : المظاهرالسياسية والحضارية فى اليمن على العهد الأيوبى ، رسالة دكتوراة ، كلية الدراسات العربية ، جامعة المنيا (مصر ١٩٩٣م).
٢٣- فارتيما ، لودوفيكودى : رحلات فارتيما ، ترجمة : الشيخ ، عبدالرحمن عبدالله ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
٢٤- كحالة ، عمر رضا : أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام ،ج٣، مؤسسة الرسالة (بيروت د.ت).
٢٤- كيرة ، نجوى كمال : كيرة : الجوارى والغلمان فى العصرين الفاطمى والأيوبى (٥٦٤٨٣٥٨هـ/٩٦٩-١٢٥٠م) (دراسة سياسية اجتماعية) ، ط١، مطبعة زهراء الشرق (القاهرة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م) .
٢٥- مالكى ، سليمان عبد الغنى : مرافق الحج والخدمات المدنية فى الأراضى الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية ، ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة (القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
٢٦- محمود ، أحمد عبدالعزيز : إجحاف بحق المجاهد صلاح الدين الأيوبى (رجل عصره) ، منشورات مكتب التفسير للنشروالإعلام (أربيل ٢٠١٠ م).
٢٧- معاذ، عبدالرازق: إسهام المرأة في العمارة بدمشق خلال العهد الأيوبي، مجلة التراث العربي، مجلد (٨) عدد (٩)، اتحاد الكتاب العرب (دمشق١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)